

أَصُولُ الدَّعْوَةِ السَّلَفِيَّةِ

محَمَّد نَاصِر الدِّين الألباني
رَحِمَهُ اللهُ

تأليف

عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المطلب

عبدالله بن عبدالمطلب

التعليقات السنية

شرح

«أصول الدعوة السلفية»

للمعتمد العلامة الشيخ

محمد ناصر الدين الألباني
رحمه الله

تأليف

عمر وعبد المنعم سليم

دار الضياء

طبعة ٣٣٠٧١٤٧

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠٢/٢٥٩٨	رقم الإيداع
-----------	-------------

دار الضياء
لنظارة ٢٣٠٧١٤٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ و٧١] .

« أما بعد » :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

وبعد :

فهذه الرسالة اللطيفة التي أقدمها للقراء اليوم هي إحدى الموروثات العلمية لطلاب العلم من محدث العصر وإمام أهل السنة والجماعة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - .

وهي رسالة عظيمة الفائدة ، ولعلها من أهم ما خلفه الشيخ - رحمه الله - لما فيها من بيان أصول المنهج السلفي الصحيح الذي يجب أن يتبعه المسلم الحريص على دينه وعلى اتباع سنة نبيه ﷺ .

وأصل هذه الرسالة محاضرة علمية للشيخ - رحمه الله - في أصول الدعوة السلفية ، وضوابط المنهج السلفي الذي طالما دعا إليه الشيخ - رحمه الله - طيلة حياته .

وكنْتُ قد نسخت هذه الرسالة منذ قرابة عامين على الأقل ، وعُلِّقت عليها جملة كبيرة من التعليقات المهمة والمفيدة - فيما أحسب - إتماماً للنفع ، إلا أن كل شيء عند الله بمقدار ، فلم تيسر طباعة هذه الرسالة آنذاك ، لتخرج اليوم في هذه الحلة القشبية مؤنقة راقية .

وقد وقعت تعليقاتي عليها كالشرح لما أبهم ، والتفصيل لما أجمل ، على اختصار لا يُخل ، وتطويل في بعض المواضع لا يُمل ، واستخرت الله تعالى في تسميتها : « التعليقات السنية شرح أصول الدعوة السلفية » .

فأسأل الله تعالى أن يبارك في هذا الجهد ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم .

ويأتي صدور هذه الرسالة في وقت الشباب أحوج ما يكونون فيه إليها ، لا سيما مع الدعاوى الباطلة التي يُروَّج لها اليوم والتي تدعو إلى

سبل معوجة ليست هي على صراط الله المستقيم ، ولا موافقة لمذهب السلف الصالح - رضي الله عنهم - .

وقد بينَّ الشيخ - رحمه الله - في هذه الرسالة أصول المنهج السلفي والدعوة السلفية التي يتنسب إليها كل من أخذ نفسه بالعزيمة في اتباع الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح .

فأرجو من الله سبحانه وتعالى أن يجعل في نشر هذه الرسالة وشرحها فضلاً للاختلاف ، وجمعاً للكلمة ، ونصحاً للأمة ، وأن يجعل جهدي في إعدادها للطبع والتعليق عليها وشرحها مما خلص لله وحده سبحانه وتعالى ، وأن يأجرني عليها ، وأن يُثقل بها ميزان أعمالي يوم القيامة .

إنه على كل شيء قدير ، والحمد لله رب العالمين .

وكتب : أبو عبد الرحمن

عمر وعبد المنعم سليم

* * *



تحميل كتب و رسائل علمية

قناة عامة



معلومات

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

رابط الدعوة



الإشعارات

معطلة

التَّحْقِيقَاتُ السَّنِّيَّةُ

شَرْحُ

«أُصُولُ الدَّعْوَةِ السَّلَفِيَّةِ»

لِلْمُحَرِّثِ الْعَلَّامَةِ الشَّيْخِ
مُحَمَّدِ نَاصِرِ الدِّينِ الْأَلْبَانِيِّ
رَحِمَهُ اللَّهُ

تَأْلِيفُ
عَمْرٍو عَبْدِ الْمُنْعِمِ سَلِيمٍ

دَارُ الضَّرِيَاءِ

طَبَاعَاتُ ٣٣٠٧١٤٧٠



تحميل كتب و رسائل علمية

قناة عامة



معلومات

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

رابط الدعوة



الإشعارات

معطلة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾
[آل عمران: ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾
[النساء: ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾
[الأحزاب: ٧٠ و٧١] . (١)

(١) ابتدأ الشيخ - رحمه الله - حديثه بالحمد لله تعالى ، والثناء عليه ، مستخدماً في ذلك خطبة الحاجة التي صح حديثها عن النبي ﷺ من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة فذكرها .
أخرجه أبو داود (٢١١٨) ، والترمذي (١١٠٥) ، والنسائي في «المجتبى» (٨٩/٦) وفي «عمل اليوم والليلة» (٤٩٢ و٤٩٣) ، وابن ماجة (١٨٩٢) من طرق : =

«أما بعد» :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ،
وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل
ضلالة في النار. (٢)

= عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن ابن مسعود به . وسنده صحيح .
وللشيخ - رحمه الله - رسالة لطيفة في جمع ونقد روايات خطبة الحاجة .
ويجوز البدء بغيرها ، إن اشتمل على الحمد لله ، والثناء عليه ، فقد صح
عن النبي ﷺ أنه كان يفتح كلامه وخطبه بالحمد لله ، والثناء عليه ، كما ورد
في حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - عند مسلم (٥٩٣/٢) :
كان رسول الله ﷺ يخطب الناس يحمد الله ، ويثنى عليه بما هو أهله .
وكما ورد في حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - في قصة رجم
ماعر بن مالك - عند مسلم (١٣٢١/٣) - قال :
فقام النبي ﷺ من العشي ، فحمد الله ، وأثنى عليه . . .
والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً .

(٢) قوله : «فإن أصدق الحديث كتاب الله . . .» ورد مرفوعاً عن النبي
ﷺ ، من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - في صفة خطبته عليه
السلام في الجمعة .

أخرجه أحمد (٣/٣١٩ و٣٧١) ، ومسلم (٢/٥٩٢) ، والنسائي (٣/١٨٨) ،
وابن ماجة (٤٥) ، والبيهقي (٣/٢١٣) من طريق :
جعفر بن محمد الهاشمي ، عن أبيه ، عن جابر به .

إلا قوله : «وكل ضلالة في النار» ، فهي زيادة شاذة من هذا الوجه كما =

وبعد: (٣)

فإن خير ما نستفتح به كلمتنا هذه إنما هو قول الله تبارك وتعالى:

= بينته تفصيلاً في «صفة خطبة النبي ﷺ» (ص: ١٧) ، وفي كتابي «الزيادات الضعيفة في الأحاديث الصحيحة» (٢) ، ولكنها ثابتة من قول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بسند حسن عند ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (ص: ٢٤).

(٣) قوله: «وبعد» ، وقبلها: «أما بعد» ، متابعة للسنة ، حيث كان النبي ﷺ يفتح خطبه كلها ، ومكاتباته ، ومواعظه بالحمد لله ، والثناء عليه بما هو أهله ، ثم يقول: «أما بعد» ، وقد بَوَّب البخاري في «صحيحه» (١/٢٩٢): «باب: من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد» .

وذكر تحته عدة أحاديث في الدلالة على ما ذكره ، وعلى مشروعيته ، وسنيته ، لالتزام النبي ﷺ به في غالب أحواله .

● وقد قيل: إن «أما بعد» هي فصل الخطاب الذي أوتيهِ داود عليه السلام، وقد روى ذلك ابن جرير في «التفسير» (١٧٣/٢١) عن الشعبي بسند ضعيف جداً^(١) وأخرج ابن أبي حاتم في «التفسير» (٣٢٣٧/١٠) بسند ضعيف جداً^(٢) عن أبي =

(١) فيه جابر بن نوح ، قال ابن معين: «ليس بشيء»، وقال في رواية: «ليس بثقة» ، وقال أبو داود: «ما أنكر حديثه»، وقال النسائي: «ليس بالقوي» .

(٢) فيه عبد العزيز بن أبي ثابت ، وهو ابن عمران ، قال ابن معين: «كان صاحب نسب، ولم يكن من أصحاب الحديث» ، وقال: «ليس بثقة» ، وقال البخاري: «منكر الحديث، لا يكتب حديثه» ، وقال أبو حاتم: «ضعيف الحديث ، منكر الحديث جداً» .

وفيه - كذلك - عبد الرحمن بن أبي الزناد ، وهو متكلم فيه .

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ
بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة : ١٠٠].

إن هذه الآية الكريمة هي الأساس الذي ينبغي لكل مسلم أن ينطلق
منها لمعرفة الدعوة . (٤)

= موسى الأشعري - رضي الله عنه - أنه قال : أول من قال : «أما بعد» داود
عليه السلام ، وهو فصل الخطاب .

• وأما المعنى في الفصل بين الحمد لله والثناء عليه ، وبين ما بعده من
الكلام بـ: «أما بعد» ؛ فقال فيه الحافظ ابن رجب في «فتح الباري» (٥/ ٤٨٤):
« المعنى في الفصل بأما بعد : الإشعار بأن الأمور كلها وإن جلّت وعظمت
فهي تابعة لحمد الله ، والثناء عليه ، فذاك هو المقصود بالإضافة ، وجميع
المهمات تبع له من أمور الدين والدنيا.... فالحمد لله متقدّم على جميع الكلام ،
والكلام كله متأخر عنه وتبع له . »

(٤) قوله - رحمه الله - : « هذه الآية هي الأساس ... » وذلك لأن في
هذه الآية الحظ على اتباع السلف ، وبيان ثواب اتباعهم ، لأن في اتباعهم
اتباع الهدى النبوي الشريف ، والالتزام بالمنهج القويم ، الكتاب الكريم وسنة
النبي ﷺ ، وهذا ظاهر من قوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ .

والأصل الأصل الذي قامت عليه الدعوة السلفية الالتزام بالكتاب والسنة
على فهم السلف الصالح - رضي الله عنهم أجمعين - .

• [اصطلاح الدعوة السلفية] :

اصطلح بعض العلماء قديماً وحديثاً على تسميتها بـ «الدعوة السلفية» وقد يسميها بعضهم بدعوة أنصار السنة المحمدية وآخرون بدعوة «أهل الحديث» ، وكلها أسماء تدل على معنى واحد^(٥) ، هذا المعنى الواحد طالما غفل عنه جماعات من المسلمين قديماً وحديثاً ولم ينتبهوا لها ، أو أنهم انتبهوا لها ولم يراعوها حق رعايتها .

(٥) قول الشيخ - رحمه الله - : « وكلها أسماء تدل على معنى واحد » أي إذا وافق الاسم الصفة ، فالتسمية لا أثر لها إن لم يوافق الخبر الخبر ، والاسم الصفة ، فالانتساب إلى السنة المحمدية ، أو إلى السلفية ، أو إلى أهل الحديث إن لم يكن موافقاً لأصول أهل السنة والجماعة ، والتي يُعبر عنها بهذه التسميات ، فلا أثر لهذه التسمية ، بل هو ادعاء كاذب ، وكم من هذه الادعاءات اليوم يروج لها ، والشيخ - رحمه الله - كان من أشد الناس تفتناً لهذه المسألة ، وها هو ذا يبين أنه لا قيمة للتسمية ، إن لم يُتصف بصفتها .

ولأهل الحديث ، ولأهل السنة والجماعة ، أصول قد بنوا عليها منهجهم في الدعوة إلى الله تعالى ، ولا يزال أهل العلم والفضل من المحققين والأئمة في هذا العصر ، يرشدون الناس إلى هذه الأصول ، ويبينون ما يخالفها من المدخول عليها ، ويحذرون الدعاة منها ، وقد ضرب في هذا المجال بسهم وافر الشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ الألباني ، والشيخ ابن عثيمين - رحمهم الله أجمعين - .

وانظر تفصيل هذه الأصول في كتابي : « الأصول التي بنى عليها أهل الحديث منهجهم في الدعوة إلى الله » .

• [موقف السلفية من التمدد] :

ذلك لأن الناس قد مضى عليهم قرون طويلة وقد ران على قلوبهم الجمود على التقليد المذهبي بين أهل السنة الذين ينتمون إلى أنهم من أهل السنة والجماعة ^(٦)، ران على هؤلاء كلهم في القرون المتأخرة بعد القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية ران عليهم الجمود على التقليد والتدين بالتقليد فضلاً عن غير أولئك الذين لا ينتمون إلى مذهب أهل السنة والجماعة من

(٦) بعد أن تكلم الشيخ - رحمه الله - على اصطلاح «الدعوة السلفية» ، وأصل التسمية ، عاد ليركز على جملة الأصول التي تنبني عليها هذه الدعوة ، فابتدأ بالكلام على أصل مهم من أصول الدعوة السلفية ، وهو : « نبذ الجمود والتعصب المذهبي » ، فالسلفية لا تعني فقط مجرد الالتزام بمنهج السلف في الاعتقاد فحسب ، بل هي أوسع من ذلك ، إذ إنها تشمل أيضاً التزام منهجهم في العبادات والفقه ، لأن الأصل في ذلك كله : الالتزام بالكتاب والسنة وعمل سلف الأمة وفهمهم للنصوص، سواء كان في العقائد، أو في العبادات ، أو في السلوك ، وهذا مقتضاه ولا شك : نبذ التقليد المذهبي ، والتعصب لأراء الرجال ومذاهب الأئمة إن خالفت النصوص الشرعية ، ونبذ العقائد الفاسدة المخالفة للكتاب والسنة وفهم السلف الصالح .

ولا مجال لدعاء العصمة للأئمة المتبوعين ، لأنه قول فاسد لا يتخرج إلا على قالة أهل البدع والأهواء من الرافضة ، وكل أحد وإن كان من الأئمة يعزب عنه من سنن النبي ﷺ الشيء من الحديث والاثر ، ويصيب معرفته غيره من الأئمة ، فأحد المجتهدين مصيب له أجران ، والآخر مخطيء له أجر ، وثبوت أجر المخطيء لا يقتضي جواز اتباعه ، وإنما أجر مع وقوعه في الخطأ =

الفرق الأخرى التي يشملها قول نبينا ﷺ في الحديث المشهور:

= لأهليته على النظر مع كونه مريداً لإصابة الحق ، واجتهاده فيه .

وكلمات أهل العلم في نبذ التقليد ، واتباع الدليل أكثر من أن تحصى .

• وقد قال الإمام مالك - رحمه الله - :

إنما أنا بشر أخطئ وأصيب ، فانظروا في رأيي ، فكل ما وافق الكتاب

والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة ، فاتركوه . (١)

• وقال الإمام الشافعي - رحمه الله - :

إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ ، فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ،

ودعوا ما قلت . (٢)

• وقال الإمام أحمد - رحمه الله - :

لا تقلّد دينك أحداً من هؤلاء ، ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ ، ثم

التابعين بعد الرجل فيه مخير . (٣)

• وصح عن أبي حنيفة النعمان - رحمه الله - أنه قال :

ويحك يا يعقوب ، لا تكتب كل ما تسمعه مني ، فإني قد أرى الرأي اليوم ،

فأتركه غداً . (٤)

(١) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٣٢/٢).

(٢) أخرجه البيهقي في «مناقب الشافعي» (٤٧٢/١) بسند صحيح.

(٣) «مسائل أحمد» لأبي داود السجستاني (١٧٩٣).

(٤) أخرجه الدوري في «التاريخ» (٢٤٦١) ، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد»

(٤٢٤/١٣) بسند صحيح.

«تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وتفرق النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة» .

قالوا: من هي يا رسول الله ؟ قال: «هي الجماعة» .
وفي رواية مفسرة للرواية الأولى : قال ﷺ :
«هي التي تكون على ما أنا عليه وأصحابي» .^(٧)

(٧) هذا الحديث قد ورد من رواية كل من : أبي هريرة ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وسعد بن أبي وقاص ، وعوف بن مالك ، وأنس بن مالك ، وعمرو بن عوف ، وأبي أمامة ، وابن مسعود ، وجماعة من الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - والحديث صحيح ثابت ، باللفظ الأول الذي ذكره الشيخ ، وقد ذكر الشيخ في «الصحيحة» (٣٥٩/١) من صحيح هذا الحديث من العلماء ، وهم : الحاكم ، وأقره الذهبي ، وحسنه الحافظ ابن حجر ، والشاطبي في «الاعتصام» ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « هو حديث صحيح مشهور » .

بخلاف من توسع في رده من طلبة العلم من المعاصرين ، وتمسك ببعض الإشكالات المردودة المتعلقة بالمتن .

وأما اللفظ الثاني المفسر فقد ورد من رواية : عبدالله بن عمرو بن العاص ، ومن رواية عوف بن مالك ، ومن رواية حديث جماعة من الصحابة ، وهذه الثلاثة ضعيفة الأسانيد .^(١)

(١) وقد توسعت في تخريج الحديث ، وتقدمت بدراسته دراسة وافية - فيما أحسب إن شاء الله - في كتابي «أصول أهل الحديث» (ص: ٢٩١-٣١٧) .

.....

= ولم يرد في رواية من الروايات الصحيحة لهذا الحديث زيادة استفسار من الصحابة -رضوان الله عليهم- أو سؤال منهم للنبي ﷺ عن معنى «الجماعة»، وهذا يدل على استقرار معرفة معناها عندهم ، لأنه يستحيل على النبي ﷺ أن يبين سبيل النجاة من الفرقة بجواب مبهم لا معنى له يُعرف عند الصحابة ، ويستحيل عليهم أن يسكتوا عن الاستفسار عنه .

وبتتبع هذا الوصف في الأحاديث الصحيحة الواردة في الحث على الجماعة، وبتتبع فهم الصحابة وأهل العلم من السلف لها ، نجد أن المعنى بالجماعة هنا هم أهل الفقه والعلم والحديث واتباع السنة .

قال الإمام الترمذي - رحمه الله - في «الجامع» (٤/٤٦٧) :

« وتفسير الجماعة عند أهل العلم هم : أهل الفقه والعلم والحديث ، قال : وسمعت الجارود بن معاذ ، يقول : سمعت علي بن الحسن يقول : سألت عبد الله ابن المبارك ، من الجماعة ؟ فقال : أبو بكر وعمر ، قيل له : قد مات أبو بكر وعمر ، قال : فلان وفلان ، قيل : قد مات فلان وفلان ، فقال عبد الله بن المبارك : أبو حمزة السكري جماعة ، قال أبو عيسى : وأبو حمزة هو : محمد ابن ميمون ، وكان شيخاً صالحاً ، وإنما قال هذا في حياته عندنا . »

قلت : وهذا يؤيده ما أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» بسند صحيح عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال :

= الجماعة ما وافق الحق ، وإن كنت وحدك .^(١)

(١) نقلاً عن تخريج «المشكاة» للشيخ الألباني - رحمه الله - (١/٦١).

• [الفرق بين الانتماء إلى الكتاب والسنة وبين العمل بهما] :

فإذاً هذا الحديث من الأحاديث الصريحة ، التي تدل دلالة واضحة على أن الفرقة الناجية من الفرق الثلاث والسبعين التي أخبر رسولنا ﷺ أنها ستقع في هذه الأمة ، وخبره ﷺ صدق - لأنه كما قال تعالى في القرآن الكريم : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣ و٤] - فالفرقة الناجية علامتها ليست فقط كما تدعي جماعات أخرى في هذا الزمان ، هذه الفرقة ليست علامتها فقط أنها تنتمي إلى العمل بالكتاب والسنة ، فإن هذا الانتماء لا يستطيع أحدٌ من المسلمين - ولو كانوا من الفرق الخارجة عن الفرقة الناجية - لا يستطيع أي فرقة من تلك الفرق قديماً أو حديثاً أن تبرأ من الانتماء إلى الكتاب والسنة ، لأنها إن فعلت ؛

= ويتأكد ذلك أيضاً بفهم الصحابي أبي أمامة رضي الله عنه لمعنى الجماعة الواردة في اللفظ النبوي الشريف .

فقد روى الشعبي ، عن النعمان بن بشير ، قال :
قال رسول الله ﷺ على هذه الأعواد - أو على هذا المنبر - :
« من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ،
والتحدث بنعمة الله شكر ، وتركها كفر ، والجماعة رحمة ، والفرقة عذاب » .
فقال أبو أمامة الباهلي : عليكم بالسواد الأعظم ، قال : فقال رجل : ما السواد الأعظم ؟ فقال أبو أمامة : هذه الآية في سورة النور :
﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ ﴾ (١) . [النور: ٥٤] .

فقد رفعت علم الخروج عن الإسلام ، ولذلك كل الجماعات الإسلامية وكل الفرق الإسلامية هذه الفرق التي ذكرها الرسول ﷺ أو أشار إليها في الحديث السابق كلها تشترك على كلمة واحدة ألا وهي الانتماء إلى الكتاب والسنة . (٨)

(٨) هذه المسألة مسألة مهمة جداً ، وهي : أن مجرد الانتماء إلى الكتاب والسنة ، إن لم يصاحبه حقيقة الركون إليهما ، والعمل بهما ، فهو مجرد دعوى عارية عن الصحة ، وكذلك الانتساب إلى السلفية إن لم يكن مشتملاً على العمل بأصول أهل السنة والجماعة ، فهي مجرد دعوى فارغة ، وادعاء المسميات لا يقتضي ثبوت الصفات .

وكما قال الشيخ - رحمه الله - فإن كافة هذه الفرق المذكورة في الحديث تدعي الانتماء إلى الكتاب والسنة ، سواء الجهمية ، أو الخوارج ، أو المعتزلة ، أو الروافض أو ... فجميع هؤلاء يدعون الانتماء والانتساب إلى الكتاب والسنة ، وعند التمييز والتدقيق والتحقيق نجد أن كل فرقة من هذه الفرق تخالف أصول أهل السنة والجماعة ، تخالف الجماعة التي حضَّ النبي ﷺ أمته على اتباعها ، ألا وهي : أهل الفقه والعلم والحديث ، وهي أصحاب رسول الله ﷺ ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وهي السواد الأعظم ، وهي سبيل المؤمنين ، ومن اتبع حقيقة نصوص التنزيل والسنة الثابتة .

قال الإمام أحمد - رحمه الله - :

« ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها : الإيمان بالقدر خيره وشره ، ... » وذكر أموراً من مهمات الاعتقاد ، وقال : « الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروه ومنهي عنه =

= لا يكون صاحبه - وإن أصاب بكلامه السنة - من أهل السنة حتى يدع
الجدال ، ويسلم ، ويؤمن بالآثار ^(١).

فبين الإمام أحمد - رحمه الله - أن اتباع السنة لا يكون إلا بالركون إليها ،
والعمل بمقتضاها ، والاستدلال بها لا بغيرها من الجدال والكلام والرأي ، فإن
المرء إن ادعى انتسابه إلى السنة ، ثم احتج بغيرها ، أو انتصر في كلامه بالآراء
والكلام والجدل ، لم يكن من أهل السنة ، وإن أصاب الحق ، لأنه قد أصابه
عن غير طريق السنة النبوية .

وهذا معنى قول الإمام البربهاري - رحمه الله - : ^(٢)

« لا يحل لرجل أن يقول : فلان صاحب سنة ، حتى يعلم أنه قد اجتمعت
فيه خصال السنة ، فلا يُقال له : صاحب سنة حتى تجتمع فيه السنة كلها ، قال
عبد الله بن المبارك : أصل اثنتين وسبعين هوى أربعة أهواء ، فمن هذه الأربعة
الأهواء تشعبت الاثنان وسبعون هوى : القدرية ، والمرجئة ، والشيعة ،
والخوارج ، فمن قَدَّمَ أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليًا على أصحاب رسول
الله ﷺ ، ولم يتكلم في الباقيين إلا بخير ، ودعا لهم ، فقد خرج من التشيع
أوله وآخره ، ومن قال : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، فقد خرج من
الإرجاء أوله وآخره ، ومن قال : الصلاة خلف كل بر وفاجر ، والجهاد مع
كل خليفة ، ولم ير الخروج على السلطان بالسيف ، ودعا لهم بالصلاح ، فقد
خرج من قول الخوارج أوله ، وآخره ، ومن قال : المقادير كلها من الله عز =

(١) «رسالة عبدوس بن مالك العطار» المشهورة باسم: «أصول السنة» (ص: ٤٢ و ٤٩).

(٢) «شرح السنة» للبربهاري (ص: ٥٧).

• [حقيقة السلفية] :

أما الذين أشرنا إليهم في مطلع هذه الكلمة من السلفيين وغيرهم ممن ينحون منحاهم ، وقد يُسمون بغير هذا الاسم فهؤلاء يختلفون عن كل الطوائف الإسلامية الأخرى ، بأنهم يتيمون إلى شيء آخر ، هذا الشيء الآخر : العصمة من الخروج عن الكتاب والسنة باسم التمسك بالكتاب والسنة ألا وهو التمسك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم من أتباعهم وأتباع أتباعهم ، ألا = وجل ، خيرها وشرها ، يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء ، فقد خرج من قول القدرية أوله وآخره ، وهو صاحب سنة .

قلت : وأما اليوم فقد أنتجت الحزبيات المتننة ، والعصبيات المقيتة الاستهانة بهذه الأصول السنية ، وبهذه العقائد السلفية ، فتساهل كثير من الدعاة في الالتزام بعقائد السلف الصالح وبنهجهم وبفهمهم للنصوص ، وأباحوا الاختلاف في العقائد والأصول بأفكار سقيمة ، وحجج واهية ، وأقوال معكوسة منكوسة ، يحدوهم في ذلك ترديد تلك العبارة المشثومة : « نعمل فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه » ، وهذه العبارة قد تتجه في غير الأصول والعقائد والمناهج ، وأما عند الاختلاف في الاعتقاد ، وفي المنهج ، فلا اتفاق ولا كرامة ، فأى اتفاق يكون مع قدرى مشثوم يرى أن الله تعالى لم يقدر أقدار العباد ، وأي اتفاق يكون مع رافضي خبيث يسب أمهات المؤمنين ، ويتناول على الصحابة ، وأي اتفاق يكون مع خارجي شرير يرى كفر الناس ، وأي اتفاق يكون مع مرجئ يرى أن الإيمان قول دون عمل ، أو جهمي خبيث يرى أن الله تعالى عدماً .

وهم القرون المشهود لهم بالخيرية في الحديث الصحيح ، بل الحديث المتواتر الذي قاله رسول الله ﷺ ، ألا وهو :

« خير الناس قرني ثم الذين يلونهم » .^(٩)

فأتباع هؤلاء الجيل الأول ، جيل الصحابة الأبرار الأطهار ، ثم الذين جاءوا من بعدهم يقولون : « رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ » ، هؤلاء لابد لكل من أراد أن يكون من الفرقة الناجية ، لابد أن ينتهى إلى العمل بما كان عليه هؤلاء الصحابة والتابعون وهم السلف الصالح الذين نحن نفتدي بهم .^(١٠)

(٩) هذا الحديث : أخرجه أحمد (٣٧٨/١ و ٤٤٢) ، وابن أبي عاصم (١٤٦٦) ، والبخاري (١١٨/٤) ، والترمذي (٣٨٥٩) من طريق : الأعمش ، عن إبراهيم النخعي ، عن عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه به .

وهو عند مسلم (١٩٦٣) من طريق : ابن عون ، عن إبراهيم به .

(١٠) قول الشيخ - رحمه الله - : « هؤلاء لابد لكل من أراد أن يكون من الفرقة الناجية ، لابد أن ينتهى إلى العمل بما كان عليه هؤلاء الصحابة والتابعون وهم السلف الصالح الذين نحن نفتدي بهم » : فيه مسائل :

الأولى : أن السداد في الدنيا ، والنجاة في الآخرة يكون باتباع هدي السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وهم القرون الثلاثة الخيرية ، التي ورد تفضيلها على غيرها في الحديث الشريف .

الثانية : أن الانتساب إلى السلفية لابد أن يكون حقيقياً - بالاتباع الصحيح لمذهب السلف وهدْيهم ، وعدم الخروج عن فهمهم إلى فهم غيرهم ممن قصروا عنهم في الصحبة والتلقي الصحيح للشرع الحنيف - لا صورياً ، بانتحال =

• [وجوب الاقتداء بالسلف] :

وليس هذا الأمر من وجوب الاقتداء بهؤلاء السلف الصالح بالأمر = الاسم فقط ، دون الالتزام بالصفة ، وهو ما وقع فيه كثير من الدعاة اليوم إلا من رحم ربي سبحانه .

الثالثة : أن من توابع الالتزام بهدي السلف الصالح وفهمهم للنصوص ، وكيفية العمل بها : عدم الشذوذ عنهم في الأقوال أو التوجيهات ، أو الخروج عن اجتهاداتهم إلى اجتهداء جديد لم يسبق إليه ، كما قال الإمام أحمد - رحمه الله - لتلميذه أبي الحسن الميموني : لا تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام. (١)

وقال الإمام أحمد : لا يكاد شيء إلا ويوجد فيه عن أصحاب النبي ﷺ. (٢)

الرابعة : أن من توابع الالتزام بهدي السلف الصالح الأخذ بما وافق الدليل من اجتهاداتهم ، مع الاعتذار عنهم بالجميل من الذكر ، فيما خالفوا فيه النص ، فإن المجتهد المخطئ له أجر ، والمجتهد المصيب له أجران ، ومن خالف منهم فعن عذر لا عن عمد ، ومن جمع الرخص من زلل العلماء جمع الشر كله ، وهلك ، وقد قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - :

ثلاث يهدمن الدين : زلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن ، وأئمة مضلون. (٣)

وقال الإمام الأوزاعي - رحمه الله - :

من أخذ بقول المكين في المتعة ، والكوفيين في النبذ ، والمدنيين في الغناء ،

والشاميين في عصمة الخلفاء ، فقد جمع الشر كله. (٤)

(١) « مناقب أحمد » لابن الجوزي : (ص: ١٧٨).

(٢) « مسائل أحمد » لأبي داود السجستاني (ص: ٢٧٧).

(٣) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١١٠ / ٢) بسند صحيح.

(٤) «سير أعلام النبلاء» للمحافظ الذهبي (٨١ / ٨).

المبتدع ، بل هو الأمر الواجب الذي جاءت الإشارة إليه ، بل التصريح به في مثل قوله تبارك وتعالى :

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء : ١١٥] .

الخامسة : أن من توابع الالتزام بهدي السلف نبذ الخلفية المقيتة ، والتي أساسها أعمال العقل على النقل ، ورد نصوص الكتاب والسنة بالتأويلات الفاسدة ، والطعون الجائرة .

وقد قال الأوزاعي - رحمه الله - :

عليك بأثار من سلف وإن رفضك الناس .^(١)

السادسة : في بيان الفرق بين الصحابة والتابعين وتابعيهم من حيث الاحتجاج بأقوالهم ، وهل يُقال لقول الصحابي أو لفعله : إنه سنة ؟ فيه تفصيل : فقد ذهب الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - إلى حجية آثار الصحابة ، وأنزلها بمنزلة السنن من حيث الحجة - بخلاف أقوال التابعين وأحكامهم واجتهاداتهم - كما ورد صريحاً عند أبي داود السجستاني في «المسائل» (ص: ٢٧٦) ، قال :

وسمعت أحمد غير مرة سئل : يُقال : لما كان من فعل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم - سنة ؟ قال : نعم ، وقال مرة : لحديث رسول الله ﷺ : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين» .

قيل : فعمر بن عبد العزيز ؟ قال : لا ، قال : أليس هو إماماً ؟ قال : =

(١) أخرجه الأجرى في «الشرعة» (ص: ٥٨) ، والخطيب في «شرف أصحاب الحديث»

(٦) بسند صحيح .

= بلى ، فقل له : فنقول لمثل قول أبي ومعاذ وابن مسعود : سنة ؟ قال : ما أدفعه أن أقول ، وما يعجبني أن أخالف أحداً منهم .

والمشهور عنه - رحمه الله - أنه كان ينزل الأثر بمنزلة الحديث ، وقد يُوقَّ بينه وبين الحديث المرفوع ، لثلا يُطل العمل بأحدهما .

وأما الإمام الشافعي - رحمه الله - ؛ فقد وافق أحمد على مجمل قوله في الاحتجاج بآثار الصحابة ، إلا أنه أطلق الاحتجاج بها إذا عُدَّت الحجة من الكتاب والسنة .

كما دلَّ عليه ما أخرجه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (٣٥) بسند صحيح عن الشافعي ، قال : ما كان الكتاب أو السنة موجودين ، فالعذر على من سمعهما مقطوع إلا باتباعهما ، فإذا لم يكن ذلك ، صرنا إلى أقاويل أصحاب النبي ﷺ ، أو واحد منهم .

وأما مذهب أبي حنيفة النعمان - رحمه الله - فموافق لمذهب الشافعي ، على وجه التخير من أقوالهم .

فقد أخرج ابن معين في «تاريخه» برواية الدوري (٤٢١٩) بسند صحيح عن يحيى بن زكريا ، قال :

شهدت سفيان ، وأناه رجل ، فقال : ما تنقم على أبي حنيفة ؟ قال : وما له ؟ قال : سمعته يقول : آخذ بكتاب الله ، فما لم أجد فسنة رسول الله ﷺ ، فإن لم أجد في كتاب الله ولا سنة رسوله آخذ بقول أصحابه ، آخذ بقول من شئت منهم ، وأدع قول من شئت ، ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم .

وأما الإمام مالك - رحمه الله - ؛ فقد احتج بقوله تعالى :

=

= «وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» .
[التوبة: ١٠٠].

على مشروعية اتباع الصحابة - رضي الله عنهم وأرضاهم - .
وخالفهم الظاهرية ، فذهبوا إلى ترك الاحتجاج بمذهب الصحابي .
وقد صرح بذلك ابن حزم في مواطن عديدة من كتبه ، لا سيما في
«المحلى» ، وفي «الإحكام في أصول الأحكام» .

والذي يترجح على وجوه :

(١) مذهب الصحابي الذي انتشر بين الصحابة ولم ينكر عليه .

فهذا من قبيل الإجماع السكوتي ، وهو مقدم على غيره فيما لم يرد به
كتاب ولا سنة ، وهو حجة عند جمهور العلماء .

● ومثال ذلك :

ما صح عن جماعة من أصحاب النبي ﷺ من المسح على الجوربين منهم :
علي بن أبي طالب ، وأنس بن مالك ، وأبي مسعود ، والبراء بن عازب ،
وأبو أمامة الباهلي - رضي الله عنهم - .

فهذا لم يصح فيه خلاف عن الصحابة - رضي الله عنهم - وفيه جملة من
الأحاديث المرفوعة ، كلها لا تخلو من مقال ، وصحتها متنازع فيها .^(١)

(١) وقد جمعت الأخبار الواردة في هذه المسألة - المرفوعة ، والموقوفة ، والمقطوعة -

في رسالة مستقلة ، ضمن دراسة حديثة فقهية نقدية .

.....

= (٢) مذهب الصحابي الذي تفرد به ، ولم يعارض بمذهب غيره .
فهو حجة أيضاً عند الأكثر إذا لم يعارض بمرجح أصولي ، أو بنص شرعي .
● مثاله :

ما صح عن ابن عمر - رضي الله عنه - أنه قال :
الأذنان من الرأس .^(١)

وقد روي مرفوعاً ، وموقوفاً على جماعة من الصحابة ، ولا يصح إلا من
هذا الوجه عن ابن عمر ، وبه احتج الإمام أحمد .
ولم يخالفه أو يعارضه أحد الصحابة .

ومثله : ما ثبت عن ابن عمر - رضي الله عنه - أنه كان يغسل ظهور أذنيه
وبطونهما إلا الصماخ من الوجه ، مرة أو مرتين ، ويدخل بأصبعيه بعد ما يمسح
برأسه في الماء ، ثم يدخلهما في الصماخ مرة .^(٢)
فهذا مقتضاه تجديد الماء لمسح الأذنين .
ولم يخالفه أحد من الصحابة .

وهو ما رجحه الإمام أحمد - رحمه الله - في « مسائل إسحاق
النيسابوري » (٧٤) .

(٣) مذهب الصحابي إذا خالفه مذهب غيره من الصحابة .
فيما ليس فيه نص من الكتاب أو السنة .

(١) أخرجه عبد الرزاق (١١/١) ، وابن المنذر في « الأوسط » (٤٠١/١) بسند صحيح .

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١١/١) بسند صحيح ، وعند مالك في « الموطأ » (٣٤/١) بسند

صحيح : أن عبد الله بن عمر كان يأخذ الماء بأصبعيه لأذنيه .

= فهذا على مراتب :

■ الأولى : أن يكون مذهب أحد الخلفاء الأربعة :

فهو مقدّم على غيره ، بنص السنة :

« عليكم بستتي وسنة الخلفاء الراشدين » . (١)

وهذا أمر ، والأمر يقتضي الوجوب ، وهو ما رجحه الشيخ الألباني - رحمه

الله - في كتابه : « صلاة التراويح » ، حيث قال :

« وقد أمرنا باتباع سنته ﷺ ، وسنة الخلفاء الراشدين » .

وهو اختيار الشافعي كما في « المدخل » للبيهقي (٣٨) .

ويؤيده ما ورد عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - :

إنني لأستحي من ربي أن أخالف أبا بكر . (٢)

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - : أنه كان إذا سئل عن الأمر فكان في القرآن

أخبر به ، وإن لم يكن في القرآن ، وكان عن رسول الله ﷺ أخبر به ، فإن لم يكن

فمن أبي بكر وعمر ، فإن لم يكن قال فيه برأيه . (٣)

فإن كان الخلاف بينهم قُدّم أبو بكر ، فعمرو ، فعثمان ، فعلي - رضي الله عنهم -

تبعاً لحديث التفضيل الذي رواه ابن عمر - رضي الله عنهما - قال :

كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ ، فنخير أبا بكر ، ثم عمر بن الخطاب ،

ثم عثمان بن عفان - رضي الله عنهم - . (٤)

(١) وهو حديث صحيح أخرجه الأربعة ، وغيرهم ، ويأتي زيادة بيان (ص : ٣٠) .

(٢) أخرجه أبو بكر العشاري في « فضائل أبي بكر الصديق » (٧) بسند حسن .

(٣) أخرجه الدارمي (١٦٦) بسند صحيح .

(٤) أخرجه البخاري (٨/٣) من طريق : يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن نافع ، عن

ابن عمر به .

فالله تبارك وتعالى قد ذكر في هذه الآية تحذيراً شديداً عن مخالفة الرسول ﷺ ومشاققته ، ثم عطف على ذلك فقال : ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ولا شك أن هؤلاء المؤمنين الذين حذر الله تبارك وتعالى الناس من المسلمين أن يخالفوا سبيل المؤمنين ، لا شك أن هؤلاء إنما هم الذين ذكروا في الآية السابقة :

﴿ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾ .

فقد رضي الله عنهم ، ورضوا عن ربهم .

• [معيار التفرقة بين الادعاء والعمل] :

ذلك هو المعيار الذي يفرق بين المسلم الذي يتتمي بلسانه إلى الكتاب والسنة ، ثم قد يخالف الكتاب والسنة حينما لا يرجع إلى العصمة من مخالفة الكتاب والسنة ، ألا وهو التمسك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ .

فأنتم الآن أمام نص من الآية ومن الحديث الصحيح ، ذكرت الآية سبيل المؤمنين ، وذكر النبي ﷺ أصحابه ، كما ذكر سنة الخلفاء الراشدين في الحديث الآخر الصحيح الذي رواه جماعة من أصحاب السنن ، منهم :

= ■ الثانية : أن يكون مذهبه هو مذهب الأكثر من الصحابة .

فهو حجة ، لا سيما إن كان من فقهاء الصحابة .

■ الثالثة : أن يكون مخالفاً للأكثر ، ولا مرجح لقوله .

فالحجة قول الجماعة آنذاك . (١)

(١) هذا البحث منقول بتصرف في بعض المواضع من كتابي «الدربة على الملكة»

أبوداود ، والترمذي ، والإمام أحمد ، وغيرهم :

عن العرياض بن سارية قال :

وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ، وجلت منها القلوب ، وذرفت منها

العيون ، فقلنا يا رسول الله ! كأنها وصية مودّع ، فأوصنا ، قال :

« أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن وليّ عليكم عبدٌ

حبشي ، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة

الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم

ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » . (١١)

(١١) هذا الحديث : قد روي من طرق عن العرياض بن سارية - رضي الله

عنه - ، وهو حديث صحيح ، صححه جماعة من أهل العلم منهم الترمذي ،

والبزار ، والهروي ، وابن عبد البر ، واحتج به الإمام أحمد - رحمه الله - كما

في «مسائل أبي داود» (١٧٩٢) ، دلالة على ثبوته عنده ، وقد تعنى بعض

المتشددين في التصحيح المتراخين في التضعيف تضعيف هذا الحديث ، وأنشأ رداً

على الشيخ - رحمه الله - في تصحيحه هذا الحديث ، وقد أجاب الشيخ عن شبه

ذلك المتعنت في كتابه «النصيحة» ، ولا مجال لتخريجه هنا ، لأننا استقصينا طرقه

في غير هذا الموضع .

ولكن لا يفوتنا التنبيه على شذوذ الزيادة الأخيرة التي ذكرها الشيخ : « وكل

ضلالة في النار » ، وهي ليست من حديث العرياض ، وإنما من حديث جابر بن

عبد الله - رضي الله عنه - ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه ،

وعلا صوته ، واشتد غضبه ، حتى كأنه منذر جيش ، يقول : صبّحكم ومساءكم ،

ويقول : « بُعثت أنا والساعة كهاتين » ، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ، =

وفي الحديث الآخر : « وكل ضلالة في النار » .

فتجدون النبي ﷺ في هذا الحديث أيضاً عطف سنة الخلفاء الراشدين على سنته ﷺ ، فهذا الحديث يلتقي مع حديث الفرقة الناجية ، يلتقي مع قوله تعالى في الآية الثانية ، ألا وهي قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝ ﴾ .

ولذلك فلا يجوز للمسلم باسم اتباع الكتاب والسنة أن يتبع آراء أو أقوالاً تخالف ما كان عليه سلفنا الصالح ، ذلك لأن ما كانوا عليه تبيانٌ = ويقول : « أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة » ، ثم يقول :

« أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ، من ترك ما لأفأمله ، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإليّ وعليّ » .

وهذا الحديث أخرجه مسلم (٥٩٢/٢) ، والنسائي (١٨٨/٣) ، وابن ماجه (٤٥) .

وأما الزيادة ، فعند النسائي والبيهقي في « الأسماء والصفات » ، وهي غير ثابتة عن النبي ﷺ ، ولذا أوردتها في كتابي : « الزيادات الضعيفة في الأحاديث الصحيحة » (٢) .

وهي حسنة الإسناد من قول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عند ابن وضاح في « البدع والنهي عنها » (١) .

(١) كما تقدمت الإشارة إليه في أول الكتاب (ص: ١١) .

للكتاب والسنة ، وأنتم تعلمون جميعاً أن السنة هي بنص القرآن الكريم تبيانٌ للقرآن الكريم ، كما قال الله تعالى مخاطباً شخص النبي ﷺ بقوله : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل : ٤٤] .

• [أقسام السنة وطريق الوصول إليها] :

فكما أن النبي ﷺ تولى بيان القرآن بسنته ، وسنته تنقسم إلى ثلاثة أقسام : إلى قولٍ ، وفعلٍ ، وتقريرٍ .

وهذه السنة ليس لنا طريقٌ إلى الوصول إليها والتعرف عليها إلا من طريق أصحاب النبي ﷺ ، ولذلك فلا سبيل إلى أن يكون المسلم من الفرقة الناجية إلا بأن يتبع الكتاب والسنة وعلى ما كان عليه السلف الصالح ، هذا الأمر الثالث يجب أن يكون ثابتاً في أذهان المسلمين كلهم إذا كانوا صادقين في أن يكونوا من الناجين يوم القيامة ، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ . (١٢)

(١٢) قول الشيخ - رحمه الله - : « وعلى ما كان عليه السلف الصالح » دلالة على أصل مهم في فهم نصوص الكتاب والسنة ، وهو فهمها بفهم الصحابة ، لا بفهم غيرهم ، فإنهم - كما قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله - : السابقون ، وإنهم عن علم وقفوا ، وببصر نافذ كفوا ، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى ، وبفضل فيه لو كان أخرى ، فلئن كان الهدي ما أنتم عليه ، فقد سبقتموهم إليه ، ولئن قلت إنما أحدث بعدهم ، ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ، ورغب بنفسه عنهم ، لقد تكلموا فيه بما يكفي ، ووصفوا منه ما يشفي ، فما دونهم مقصّر ، وما فوقهم محصر ، لقد قصر دونهم أقوام فجفوا ، وطمح عنهم =

.....

= آخرون فغلوا ، إنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم .^(١)

وهذا بخلاف ما يقع من بعض الفقهاء المتأخرين من الترجيح بخلاف فهم الصحابي للنص ، كما وقع لبعض فقهاء الشافعية في حديث النبي ﷺ : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها » ، قال النووي - رحمه الله - في « شرح صحيح مسلم » (٤ / ٥٠) :

« هذا من الأحاديث التي تجمع الناسخ والمنسوخ ، وهو صريح في نسخ نهى الرجال عن زيارتها ، وأجمعوا على أن زيارتها سنة لهم ، وأما النساء ففيهن خلاف لأصحابنا قدمناه ، وقدمنا أن من منعهن قال : النساء لا يدخلن في خطاب الرجال ، وهو الصحيح عند الأصوليين » .

قلت : وهذا يخالف فهم أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - للنص ، وفهمها مقدّم على فهم غيرها ، ولا شك ، فإنها زوج النبي ﷺ ، وصاحبة الرواية عنه ، ومن فقهاء النساء ، وقد روى عبدالله بن أبي مليكة :

أن عائشة - رضي الله عنها - أقبلت ذات يوم من المقابر ، فقلت لها : يا أم المؤمنين ، من أين أقبلت ؟ قالت : من قبر عبدالرحمن بن أبي بكر .

فقلت لها : أليس كان رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور ؟ قالت : نعم ،

ثم أمر بزيارتها .^(٢)

(١) أخرجه ابن وضاح في « البدع والنهي عنها » (٧٧) بسند حسن .

(٢) أخرجه الحاكم في « المستدرک » (١ / ٣٧٦) ، وابن عبد البر في « التمهيد » (٣ / ٢٣٣)

من طريق : يزيد بن حميد أبي التياح ، عن عبدالله بن أبي مليكة به .

قال الذهبي في « تلخيص المستدرک » : « صحيح » ، وهو كما قال .

= فهذا هو فهم أم المؤمنين لنص المنع ونص الإباحة والرخصة ، وأن هذا النسخ عام في حق الرجال والنساء جميعاً بخلاف ما ذهب إليه المانعون من متأخري الفقهاء .

وكيف لنا أن نعمل أفهامنا بما يُخالف أفهام الصحابة للنصوص وقد أمرنا باتباعهم كما في حديث النبي ﷺ :

« عليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ».

وقد احتج بهذا الحديث الإمام أحمد - رحمه الله - على أن أقوال الصحابة سنة^(١) ، وهو قول الزهري^(٢) وغير واحد من أهل العلم . وقال النبي ﷺ :

« النجوم أمانة للسماء ، فإذا ذهب النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا أمانة لأصحابي ، فإذا ذهب أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمانة لأمتي ، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون »^(٣).

ففي اتباعهم ، والتزام فهمهم الأمان من الضلال والزيغ والابتداع ، وفي الخروج عن أقوالهم اتباع غير سبيلهم ، والالتزام بغير هديهم .

(١) انظر « مسائل أحمد » برواية أبي داود (١٧٩٢).

(٢) فقد أخرج ابن سعد في « الطبقات » (٢/١٣٥)، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/٣٦٠)، والخطيب البغدادي في « تقييد العلم » (ص: ١٠٦-١٠٧) بسند صحيح عن صالح بن كيسان - رحمه الله - قال : اجتمعت أنا والزهري ونحن نطلب العلم ، فقلنا نكتب السنن ، فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ ، ثم قال : نكتب ما جاء عن أصحابه ، فإنه سنة ، فقلت أنا ليس بسنة ، فلا نكتبه ، قال : فكتب ، ولم أكتب ، فأنجح وضيعت .

(٣) أخرجه مسلم (٤/١٩٦١) من حديث سعيد بن أبي بردة ، عن أبيه به .

• [نظرة في واقع الحال] :

ونحن اليوم نعيش مع جماعاتٍ كلها تدَّعي أنها تنتمي إلى الإسلام، وكلها تعتقد أن الإسلام هو القرآن والسنة ، ولكن الجماهير منهم لم يرتضوا الاعتماد على ما سبق بيانه من الأمر الثالث ، ألا وهو سبيل المؤمنين ، سبيل الصحابة المكرَّمين ، ومن تبعهم بإحسان من التابعين وأتباعهم ، كما ذكرنا آنفاً في حديث : «خير الناس قرني» . . . إلى آخره .

• [سبب الافتراق في الدين] :

ولذلك فعدم الرجوع إلى ما كان عليه سلفنا الصالح من المفاهيم ومن الأفكار والآراء ، هو السبب الأصيل الذي جعل المسلمين يتفرقون إلى مذاهب شتى وطرائق قديداً. (١٣)

• [الاتباع] :

فمن كان يريد حقاً الرجوع إلى الكتاب والسنة ، فيلزمه الرجوع إلى ما كان عليه أصحاب النبي ﷺ والتابعين وأتباعهم من بعدهم. (١٤)

(١٣) هذا الذي ذكره الشيخ - رحمه الله - هو حقيقة بيت الداء في افتراق المسلمين اليوم، فإنه لا يكفي المسلم انتماءه إلى الكتاب والسنة ، حتى يعمل بمقتضاها ، ولا يكون عاملاً بمقتضاها إلا على فهم السلف الصالح، وهذا هو الذي يعبرون عنه بـ: « صحة العمل » ، الذي هو أحد ركني القبول ، فإن صحة العمل تعتمد على الاتباع ، والاتباع لا يكون صحيحاً إلا بموافقة فهم الصحابة والسلف للنصوص ، والالتزام بهديهم.

(١٤) قول الشيخ - رحمه الله - : « فمن كان يريد حقاً الرجوع إلى الكتاب

والسنة . . . » هو في حقيقته تعريف لمعنى الاتباع .

= وقد عرفه الإمام أحمد - رحمه الله - كما في «مسائل أبي داود» (١٧٨٩):
 «الاتباع: أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ، وعن أصحابه، ثم هو من بعد
 التابعين مخيرٌ».

وليس ثمة مخالفة بين هذه العبارة، وبين عبارة الشيخ في اتباع ما ورد عن
 التابعين، فإن اتباع ما ورد عن التابعين مشروط بموافقة النصوص الشرعية، وإنما
 مقصد الشيخ - رحمه الله - باتباعهم هنا: هو عدم الخروج عن أقوالهم إلى قول
 آخر مخترع جديد ليس له إمام، ولا قائل به من السلف، وهذا هو نفسه الذي
 حثَّ عليه الإمام أحمد - رحمه الله - حين حذَّر تلميذه الميموني من مغبة الأقوال
 المخترعة، الخارجة عن أقاويل أهل العلم، وقد تقدَّم النقل عنه أنه قال له:
 يا أبا الحسن، إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام.

ولا يُظن أن هذا القول دعوة إلى المذهبية، وكيف يكون ذلك والإمام أحمد
 - رحمه الله - من أشد الناس تحذيراً من الرأي وأهله، ومن أشدهم دعوة إلى
 الاتباع والسنن، وإنما هو تحذير من الأقوال المخترعة الخارجة عن اجتهادات أهل
 العلم من السلف الصالح.

وقد صح عن الإمام أحمد - رحمه الله - التحذير من التقليد المذهبي، والأخذ
 بآراء الرجال، وتقديمها على النصوص، فعند أبي داود في «المسائل»
 (ص: ٣٦٧-٣٦٩):

سمعت أحمد يقول: لا يُعجبني رأي مالك، ولا رأي أحد.

وقال: سمعت أحمد - وقال له رجل: جامع سفيان نعمل به؟ - قال: عليك

=

بالآثار.

• [فهم خاطئ لما تقدم] :

وأنتم تسمعون في كثير من المناسبات أقوالاً يتلفظ بها بعض من ينتمي إلى العلم ، ولكن ليس هذا هو العلم الذي طريقه ما ذكرته آنفاً ، الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة ، وإنما يعنون بالعلم ما يفهمونه هم من الكتاب والسنة دون أن يرجعوا إلى العصمة التي تحفظهم من أن يكونوا من الفرق الضالة . (١٥)

= قال : وسمعت أحمد يقول : أنا أكره أن يكتب عني رأي .

قال : وسمعت أحمد يقول : ليس أحد إلا ويؤخذ من رأيه ويترك ، يعني : ما خلا النبي ﷺ .

قال : قلت لأحمد : أليس الأوزاعي هو أتبع من مالك ؟ قال : لا تقلد دينك أحداً من هؤلاء ، ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به ، ثم التابعين بعد الرجل فيه مخير .

(١٥) قول الشيخ - رحمه الله - : « وإنما يعنون بالعلم ما يفهمونه هم من الكتاب والسنة دون أن يرجعوا إلى العصمة التي تحفظهم . . . » وصف لطريقة أهل الأهواء والبدع في الفهم للنصوص والاستدلال بها ، وهي تبني على : تتبع النصوص الشرعية - لا سيما المتشابه منها - بعيداً عن فهم الصحابة وعمل السلف ، وتناولها بالهوى والرأي ، وبما يؤيد أفكارهم ومعتقداتهم وأهواءهم ، وقد نهى النبي ﷺ إلى خطورة هذا المنهج البدعي ، كما في حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - : أن النبي ﷺ تلا هذه الآية :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ =

لذلك تجدون وتسمعون في بعض ما يُنشر ويُطبع في العصر الحاضر، من رسائل أو من مقالات ، أن كثيراً من هؤلاء الذين يدعون العلم ، أو يتمون إلى العلم ، أو يزعم الجماهير أنهم من أهل العلم ، تسمعون منهم من يقول مخالفاً لكل هذه الأدلة التي ذكرنا آنفاً يقول :

= وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴿ الآية
فقال ﷺ :

«يا عائشة، إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله تعالى ، فاحذروهم» . (١)

والخوارج من أولى الفرق التي أعملت هواها في فهم نصوص الشريعة والعمل بها ، فاستباحوا دماء المسلمين بالباطل ، وخرجوا على الولاية والطاعة ، وهم وإن كانوا أصحاب عبادة وصلاة وصيام وقيام ، إلا أنهم من الفرق الضالة ، التي مرقت من الدين مروق السهم من الرمية ، لأنهم لم يتبعوا سبيل المؤمنين ، بل اتبعوا الأهواء ، وفسروا النصوص على غير طريقة السلف ، وعلى غير فهمهم . وأهل الأهواء والبدع لم تسلم نصوص الكتاب العزيز من إفسادهم بالتأويل، والصرف عن الظاهر المراد، فكيف بنصوص السنة التي ردوها تارة بالشذوذ المزعوم، وتارة أخرى لأن العقل لا يحتملها، وتارة ثالثة لأنها آحاد، وما كان من الآحاد فهو ظني الثبوت على حدّ زعمهم وتارة رابعة بالتأويل الفاسد ، وأما أهل السنة والجماعة فيقولون كما قال الله تعالى عنهم في الكتاب :

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١١٠) ، ومسلم (٢٠٥٣) ، وأبو داود (٤٥٩٨) ، والترمذي

(٩٩٣) ، وابن ماجه (٤٧).

« مذهب السلف أسلم ، ومذهب الخلف أعلم وأحكم » . (١٦)

هذا إعلان صريح مفصوح بأن هذا القائل وأمثاله ، يرجعون إلى ما

(١٦) هذه المقارنة بين مذهب السلف ومذهب الخلف مقارنة فاسدة ، مخالفة

لنص حديث النبي ﷺ : « خير الناس قرني . . . » - والذي تقدّم تخريجه - فإن هذا الحديث يقتضي تقديم القرون الثلاثة الأولى - وهي قرون السلف الصالح - على غيرهم في الخيرية والعلم والاتباع ، ويدخل في عموم ذلك : الاعتقاد ، ومذهبهم في فهم النصوص والاستدلال بها ، وأما الخلف فهم دون هؤلاء - ولا شك - في كل شيء ، ومن كل جهة ، بل وردت الإشارة إلى ما وقع من هؤلاء من السوء والهوى ، فقال ﷺ في تنمة الحديث :

« ثم يتخلف من بعدهم خلف ، تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته » .

بل العلم في هذه القرون الخيرية أظهر وأشهر من غيرها من القرون التي جاءت بعدها ، كما أن رفع العلم وانتشار الجهل والمعاصي أظهر في قرون الخلف ، كما دل عليه حديث النبي ﷺ : « إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويثبت الجهل ، ويشرب الخمر ، ويظهر الزنا » . (١)

وكما دل عليه قول النبي ﷺ :

« لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشرف منه حتى تلقوا ربكم » . (٢) =

(١) أخرجه البخاري (فتح : ١/١٤٥) ، ومسلم (٢٠٥٦/٤) من طريق : أبي التياح ، عن أنس بن مالك به .

(٢) أخرجه البخاري (٣١٥/٤) ، والترمذي (٢٢٠٦) من طريق :

الزبير بن عدي ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - به .

ذكرنا أنفًا من النصوص ، التي توجب عليهم أن يلتفتوا إلى ما كان عليه السلف أصحاب النبي ﷺ من الهدى والنور .

فقول هؤلاء :

إن علم السلف أسلم وعلم الخلف أعلم وأحكم .

معنى ذلك : أنهم أعرضوا عن اتباع السلف الذين أمر النبي ﷺ باتباع سنتهم .

= ولا ريب أن هذه المقالة كما قال شيخ الإسلام - رحمه الله - (١) :

« شعبة من الرفض ، فإنه وإن لم يكن تكفيراً للسلف كما يقوله من يقوله من الرافضة أو الخوارج ، ولا تفسيقاً لهم ، كما يقوله من يقوله من المعتزلة والزيدية وغيرهم ، كان تجهيلاً لهم ، وتخطئة وتضليلاً ، ونسبة لهم إلى الذنوب والمعاصي ، وإن لم يكن فسقاً فزعماً : أن أهل القرون المفضولة في الشريعة أعلم ، وأفضل من أهل القرون الفاضلة ، ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة ، وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف : أن خير قرون هذه الأمة في الأعمال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة ، أن خيرها : القرن الأول ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ من غير وجه ، وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة : من علم ، وعمل ، وإيمان ، وعقل ، ودين ، وبيان ، وعبادة ، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل ، هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام ، وأضله الله على علم » .

• [أمثلة على مخالفة منهج السلف إلى منهج الخلف] :

ولئن أردتم بعض الأمثلة التي تبين الفرق بين من يتخذ هذا المنهج -السلف الصالح - منهجاً لهم ، وبين أولئك الذين يُعرضون عن هذا المنهج إلى اتباع الخلف ، بزعم أنهم أعلم وأحكم ، نقول :

على سبيل المثال : تجدون هؤلاء الذين لا يلتفتون إلى معرفة ما كان عليه سلفنا الصالح ، يأتون بأقوال وبأفكار وبمذاهب تقطع بيطانها وبمخالفتها للكتاب والسنة ، لأنها على خلاف ما كان عليه النبي ﷺ والصحابة والتابعون لهم بإحسان .

• [التفريق بين أحاديث الآحاد وأحاديث التواتر وحكم ذلك] :

من أوضح الأمثلة على ذلك ، والتي يلهج بها بعض الناس في العصر الحاضر : تفريقهم بين حديث الآحاد وبين حديث المتواتر .

إن هذا التفريق من أبرز الأدلة على خروجهم عن اتباع السلف الصالح ، لأنهم لا يعرفون شيئاً اسمه حديث متواتر وحديث آحاد^(١٧) ،

(١٧) تقسيم الأحاديث إلى آحاد ومتواتر من مباحث المتكلمين ، ومن اختراع أهل الأهواء ليردوا بها أحاديث الاعتقاد و أحاديث الصفات ، وهذا التقسيم كما قال أبو المظفر السمعاني - فيما نقله عنه أبو القاسم الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (٢/٢١٤) - :

« رأس شغب المبتدعة في رد الأخبار ، وطلب الدليل من النظر والاعتبار فنقول ، وبالله التوفيق : إن الخبر إذا صح عن رسول الله ﷺ ، ورواه الثقات والأئمة ، وأسند خلفهم عن سلفهم إلى رسول الله ﷺ ، وتلقته الأمة بالقبول : فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم .

وبخاصة أن هؤلاء الخلف الذين اصطالحوا على هذا التفريق بين الحديث الآحاد وأحاديث المتواتر بنوا على ذلك حكماً شرعياً .

فقالوا : بأن الحديث الآحاد ولو كان صحيحاً إذا كان قد تضمن عقيدة فلا يؤخذ بهذا الحديث ولو كان صحيحاً، إلا إذا بلغ مبلغ التواتر .
هذا التقسيم الذي رتب عليه هذا الحكم هو التفريق بين العقيدة ، فلا يؤخذ فيها بحديث الآحاد ، وبين الأحكام ، فيؤخذ فيها بحديث الآحاد .

= هذا قول عامة أهل الحديث والمتقين من القائلين على السنة ، وإنما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال ، ولا بد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به : شيء اخترعته القدرية والمعتزلة، وكان قصدهم منه رد الأخبار، وتلقفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم علم في العلم وقدم ثابت، ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول، ولو أنصفت الفرق من الأمة لأقروا بأن خبر الواحد يوجب العلم، فإنهم تراه مع اختلافهم في طرائقهم وعقائدهم يستدل كل فريق منهم على صحة ما يذهب إليه بالخبر الواحد .
وهذا التقسيم كما بين الشيخ رحمه الله تقسيم مبتدع ، والحجة تقوم بالحديث الذي صح سنده ، وإن كان من طريق واحد ، سواء كان في الاعتقاد ، أو في الأحكام ، لا فرق بينهما ، مادام السند صحيحاً ، ولم يُعل المتن بأحد أوجه الإعلال المعروفة عند أهل النقد ، وهو الذي عليه أئمة أهل الحديث ، وأهل السنة والجماعة ، ومحققو المتأخرين .

وقد نقل ابن عبد البر في « التمهيد » (٨ / ١) هذا القول عن :

« قوم كثير من أهل الأثر ، وبعض أهل النظر ، منهم الحسين الكرابيسي وغيره ،

وذكر خواز بن داود أن هذا القول يخرج على مذهب مالك . »

هذا التقسيم ؛ مَنْ دَرَسَ ما كان عليه الصحابة ، وما كان عليه أتباعهم من بعدهم ، يقطع يقيناً بأن مثل هذا التقسيم هو دخيل في الإسلام ، وهي فلسفة يتبرأ منها الإسلام^(١٨) ، وكلنا يعلم ، وهم يعلمون = وإليه ذهب ابن حزم ، وبه أخذ ، ونقله عن داود الظاهري ، والحرث بن أسد المحاسبي ، كما في كتابه « الإحكام في أصول الأحكام » (١/١١٥) . وهو مذهب البخارى والشافعى .

فأما البخارى فأفرد له باباً من أبواب « صحيحه » (٤/٢٥٢) فقال :
(باب : ما جاء فى إجازة خبر الواحد الصدوق فى الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام) . وأورد فيه أخباراً تدل على ما ترجم له .
وأما الشافعى فقال فى « الرسالة » (ص ٤٠١) :
« الحجة فى تثبيت خبر الواحد » . ثم ساق الأدلة على ذلك .

وقد توسعنا فى رد الشبه التى تمسك بها أهل الأهواء فى التفريق بين الآحاد والمتواتر من حيث الحجة فى كتابنا : « دفاعاً عن السلفية » (ص : ١٦٣) ، وللشيخ رسالة نافعة فى هذه المسألة باسم : « الحديث حجة بنفسه فى العقائد والأحكام » .
(١٨) قول الشيخ : « وهي فلسفة يتبرأ منها الإسلام » : وصف دقيق جداً ، وتعبير شامل ، إذ أن هذه القاعدة فى التفريق بين أحاديث الآحاد والمتواتر ، وبين حكم الاحتجاج بالآحاد فى الأحكام ، ورد الاحتجاج بها فى العقائد من القواعد التى وضعها أهل الكلام ، والفلسفة ، والسفسطة ، والكلام والفلسفة ليسا من علوم الإسلام فى شيء ، كما تواتر عن أهل السنة والجماعة والأئمة المتبوعين ، كالأئمة الأربعة ، وأئمة الأمصار .

(١) فلا حجة بعد ذلك فيما نقله ابن عبد البر من أن الشافعى يذهب إلى إثبات العلم دون العمل بأحاديث الآحاد .

أيضاً ولكنهم يجحدون ، كما قال الله عز وجل في غيرهم :
﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ﴾ [النمل : ١٤].

• [الدليل على حجية حديث الواحد] :

فإنهم جميعاً يعلمون أن النبي ﷺ كان يُرسل أفراداً من أصحابه
ﷺ ، يدعون الناس البعيدين عن المدينة ، حيث كان فيها النبي ﷺ ، كان
يُرسل أفراداً يدعونهم إلى الإسلام ، وليس الإسلام إلا ما جاء به الرسول
ﷺ شاملاً كما لا خلاف في ذلك ، بينما كان عقيدة ، وبينما أحكاماً .

ومن الأمثلة المشهورة في السنة الصحيحة التي يعرفونها ، ثم
ينحرفون عنها : إرسال النبي ﷺ إلى اليمن تارة معاذاً ، وتارة أبا موسى
الأشعري ، وتارة علياً .

ماذا كان يفعل هؤلاء الصحابة حينما أرسلهم رسول الله ﷺ إلى
اليمن ؟ لا شك أنهم كانوا يدعونهم إلى الإيمان بالله ورسوله ، وهو أصل
كل عقيدة ، ثم إلى الإسلام الذي جاء به ﷺ .

وقد جاء في « صحيح البخاري » وفي « صحيح مسلم » :

من حديث أنس - رضي الله تعالى عنه - :

أن النبي ﷺ لما أرسل معاذاً إلى اليمن ، قال له :

« ليكن أول ما تدعوهم إليه : شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول

الله ، فإذا هم أطاعوك فمرهم بالصلاة .. » إلى آخر الحديث . (١٩)

(١٩) إنما ورد الحديث من رواية ابن عباس - رضي الله عنهما - .

والحديث : أخرجه أحمد (٢٣٣/١) ، والبخاري (٤٣٠/١) ، ومسلم

(٥١/١) ، وأبوداود (١٥٨٤) ، والترمذي (٦٢٥) ، والنسائي (٥٥٢/٥) ، =

ففيه أن النبي ﷺ أمر معاذًا وهو فردٌ ، وحديثه في اصطلاح المتأخرين : حديث آحاد ، فأمره ﷺ أن يكون أول ما يدعوهم إليه : الاعتقاد بالله وحده لا شريك له : « فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله » فإذا أنتم قابلتم هذا الحديث المجمع على صحته بين المسلمين قاطبة ، بين متبعين للسلف ، والمخالفين لهم ، يعتقدون معنى أن النبي ﷺ أرسل معاذًا إلى اليمن ، وأمره أن يدعوهم إلى شهادة ألا إله إلا الله ، فكيف يعتقدون بصحة هذا الحديث ثم يقولون إن حديث الآحاد لا يؤخذ به في العقيدة . (٢٠)

من هنا يتبين لكم أن الحيد عمًا كان عليه أصحاب النبي ﷺ من انتشارهم في الآفاق ، ودعوة الناس إلى الإسلام ، دون فلسفة التفريق بين حديث التواتر وحديث الآحاد ، هذه المسألة وحدها تكفي لتبين لكل مسلم عاقل خطر الانحراف عن اتباع الكتاب والسنة وعن منهج السلف الصالح .

= وابن ماجه (١٧٨٣) من طريق : يحيى بن عبدالله بن صيفي ، عن أبي معبد ، عن ابن عباس به .

(٢٠) هذه الحجة قوية جدًا ، فما علمنا أحدًا ممن يرد الاحتجاج بحديث الآحاد من أهل البدع ، رد الاحتجاج بهذا الحديث ، بل هو مجمع على صحته كما قال الشيخ رحمه الله ليس لاتفاق «الصحيحين» عليه فقط ، بل لاتفاق الكتب الستة على إخراجها ، وتصحيح أهل العلم له ، وتلقيهم له بالقبول .

والحديث كما ترى لم يرو إلا من طريق ابن عباس ، ولم يروه عن ابن عباس إلا أبو معبد وأشار الترمذي إلى حديث الصنابحي في الباب ، وهذا لا يكفي لتحقيق شرط التواتر .

• [الحاجة إلى معرفة عمل السلف إلى جنب دراسة الكتاب والسنة] :

لذلك كان لزاماً على كل من يريد أن يكون على هذا المنهج السلفي كما يدرس الكتاب والسنة فعليه أن يدرس أيضاً ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم ، لأنهم هم الذين نقلوا إلينا هذه الدعوة على الوجه الصحيح. (٢١)

• [الاحتجاج على الخلفيين بأحاديث الآحاد التي تحتوي على الأحكام والعقائد] :

وهذا المثال بين أيديكم ؛ تفريقهم بين حديث الآحاد وحديث التواتر ، فهم يقولون بأن العقيدة لا تؤخذ إلا من حديث التواتر ، ولقد وقعوا في بعض الأحيان في متناقضات عجيبة جداً ، وذلك بسبب ابتعادهم عن هذا المنهج السلفي ، فإن بعض النصوص الشرعية تتضمن في

(٢١) هذه الشرط الذي ذكره الشيخ - رحمه الله - يدل على قوة بصيرته، وتمام نظره، إذ كيف يُعقل فهم النصوص الشرعية دون الرجوع إلى فهم السلف الصالح ، والاحتجاج بعملهم ، ولا أكون مبالغاً إذا قلت : إن الشيخ من أوائل المعاصرين الذين أحيوا منهج معالجة نصوص الكتاب والسنة والاحتجاج بها على ضوء عمل السلف الصالح .

وقد عزف كثير من فقهاء المتأخرين - لا سيما المنتسبين إلى الأشعرية وأهل الكلام - عن هذا المنهج السلفي ، الذي هو في حقيقته عصمة من الخطأ والزلل ، إلى طرق استنباط أهل الكلام ومن نحاه نحوهم ، وقد تقدّم التمثيل لذلك بحديث الرخصة في زيارة القبور ، ومخالفة الفقهاء من متأخري الشافعية لفهم أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - للنص الناسخ .

آن واحد عقيدةً وحكمًا ، كمثل قوله ﷺ - والحديث في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ - :

« إذا جلس أحدكم في التشهد الأخير ، فليستعذ بالله من أربع ، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر فتنة المسيح الدجال » . (٢٢)

(٢٢) قلت : قد ورد هذا الحديث في «الصحيحين» من رواية أم المؤمنين عائشة ، وأبي هريرة - رضي الله عنهما - .

فأما حديث أم المؤمنين - رضي الله عنها - :
فأخرجه البخاري (٢٦٨/١) ، ومسلم (٤١٢/١) ، وأبو داود (٨٨٠) ،
والنسائي (٢٦٢/٨) من طريق : شعيب بن أبي حمزة ، عن الزهري ، عن عروة
ابن الزبير ، عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - به .
وأما حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - :

فأخرجه البخاري (٤٢٣/١) ، ومسلم (٤١٣/١) من طريق : هشام الدستوائي ،
عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة .
وهذا الحديث حجة قوية على هؤلاء الخلفيين مثله مثل سائر الأحاديث التي
احتوت على الأحكام والعقائد معًا مما تُعد في الآحاد والأفراد ، فإن هؤلاء
الخلفيين يعتقدون ما فيها من جهة الأحكام تشريعًا يجب العمل به ، ولا يعتبرونه
تشريعًا من جهة العقائد ، وهذا هو الضلال بعينه ، فإن النص متى ثبت لم يجز
مخالفته ولا التوقف في العمل به بحجة أنه من أخبار الآحاد سواء كان في العقائد
أو في الأحكام ، لا عبرة بذلك التفريق عند أهل العلم والفهم والتمييز .

وقد احتج الأئمة العلماء من المتقدمين بأحاديث آحاد في أخص أبواب الاعتقاد
وصفات الرب تعالى ، وهو مما تُنكره المبتدعة وأهل الأهواء أو يتأولونه على غير
وجهه .

هذا الحديث فيه أمرٌ بالاستعاذة من هذه الأربع ، فهي مسألة فيها حكم من أحكام الشريعة ، وهم معنا على أن حديث الأحاد تثبت به الأحكام الشرعية ، لذلك لا يسعهم إلا أن يأخذوا بهذا الحديث ، وفيه الأمر بالاستعاذة من الأربع ، أعوذ بك من عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر فتنة المسيح الدجال ، **فهل يعتقدون بعذاب القبر ؟** هنا يقولون كما يُقال : « في حيص بيص » ، عذاب القبر عقيدة ، وعذاب القبر في اعتقادهم لم يثبت بحديث متواتر ، ولذلك فهم لا يعتقدون بعذاب القبر ، اللهم إلا ما جاء ذكره في آية في القرآن في حق فرعون : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ [غافر : ٤٦] .

هذه النار يقولون : عذاب فرعون وآل فرعون ، أما عامة الكفار أولاً ، ثم المسلمون الذين ثبت في حقهم شيء من عذاب القبر ؛ فهذا إما لا يؤمنون به ، وما ذاك إلا انطلاقاً من تلك العقيدة الباطلة ، وهي قولهم : إن الحديث الصحيح ما لم يكن متواتراً لا تثبت به عقيدة ، ولذلك فهم ينكرون أحاديث كثيرة وكثيرة جداً ، بزعم أنها لم تصل مرتبة التواتر . فأنتم مثلاً تعلمون - إن شاء الله - حديث البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال : مرَّ النبي ﷺ بقبرين ، فقال :

«أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة ، وأما الآخر لا يستره - وفي رواية : لا يستر - من البول» . ثم أمر النبي ﷺ بأن يُؤتى له بغصن من نخيل ، فشقه شقين ، وضع على رأس كل قبر منهما شقاً ، وسألوه عن ذلك ، فقال :

« لعل الله عز وجل يخفف عنهما ما داما رطبين » . (٢٣)

هذا الحديث في «صحيح البخاري» ، وتسمعون أن النبي ﷺ صرح فيه بأن هذين مسلمان ، ومع ذلك فهما يُعذبان ، فدعا الرسول ﷺ لهما بأن يخفف الله عنهما العذاب بقدر ما بقي هذان الغصنان رطبين .
كذلك هناك حديث آخر ، يقول فيه النبي ﷺ :
« استنزها من البول ، فإن أكثر عذاب القبر من البول » . (٢٤)
وهكذا ، فالأحاديث كثيرة وكثيرة جداً .

(٢٣) أخرجه البخاري (٨٩/١) ، وأبو داود (٢١) ، والنسائي (١٠٦/٤) من طريق : منصور بن المعتمر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس .
وأخرجه الستة من طريق : الأعمش ، عن مجاهد ، عن طاوس ، عن ابن عباس به .

والروايتان فيما يظهر لي محفوظتان ، فإن مجاهد حافظ وإمام كبير ، فيحتمل أنه سمع الحديث أولاً بواسطة طاوس ، ثم سمعه مباشرة من ابن عباس ، وهذا محتمل ومتاح ، بل إخراج البخاري للروايتين يدل على ذلك ويؤكدده .

(٢٤) الحديث بهذا اللفظ عند الدارقطني في «السنن» (١٢٨/١) من طريق : محمد بن الصباح السمان البصري ، حدثنا أزهر بن سعد السمان ، عن ابن عون ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة مرفوعاً به .
قال الدارقطني : « الصواب مرسل » .

قال الشيخ الألباني - رحمه الله - في «الإرواء» (٣١١/١) :
« هذا سند رجاله ثقات ، غير محمد بن الصباح هذا ، أورده الذهبي في «الميزان» ، فقال : «بصري ، عن أزهر السمان ، لا يُعرف ، وخبره منكر» ، =

من ذلك أيضاً - ولا أطيل - قوله ﷺ لما مرَّ بقبرين لمشركين ماتا في الجاهلية ، قال ﷺ :

«لولا أن لا تدافنوا لأسمعتكم عذاب القبر». (٢٥)

مع ورود هذه الأحاديث في عذاب القبر بالنسبة لبعض المشركين وبعض المسلمين ، مع ذلك عُطِّلَت هذه الأحاديث ، ولم يُعتقد بها وبمضمونها ، بفلسفة أنها أحاديث آحاد ، فماذا كان موقفهم بالنسبة لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

« إذا جلس أحدكم في التشهد الأخير فليستعذ بالله من أربع .. » .

= وكأنه يعني هذا .

وأخرجه ابن ماجه (٣٤٨) ، والدارقطني (١٢٨/١) من طريق أبي عوانة ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ :
« أكثر عذاب القبر من البول » .

قال الدارقطني : « صحيح » ، وهو كما قال .

وقد ورد الحديث باللفظ الأول بسند صحيح ولكن من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - عند ابن أبي حاتم في «العلل» (٢٦/١) .
وانظر « إرواء الغليل » (٣١٠/١) .

(٢٥) هذا الحديث أخرجه البخاري (١٨٧/١) ، ومسلم (٦٢٤/٢) من طريق :

فاطمة بنت المنذر ، عن أسماء بنت أبي بكر ، بلفظ :

« إن هذه الأمة تُبْتَلَى في قبورها ، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم

من عذاب القبر الذي أسمع منه » .

منها : عذاب القبر ، إن استعاذوا بالله من عذاب القبر تنفيذًا لهذا الحكم الشرعي ، وهو واجبهم ، لأنهم لا يختلفون معنا في أنه يجب الأخذ بحديث الآحاد في الأحكام ، فهذا حكم شرعي ، أمرنا الرسول ﷺ أن ندعو بهذا الدعاء في التشهد الأخير ، فإن هم أخذوا به كما هو قولهم ، وقولهم الحق لأنه معنا ، فكيف يأخذون به وهم لا يؤمنون بعذاب القبر - لا يصدقون بعذاب - ؟

فإذًا ؛ هم حيارى ضالين منحرفين بسبب الفلسفة التي خرجوا بها عما كان عليه أصحاب النبي ﷺ ، من عدم التفريق بين الأحاديث ، وجعلها تواتر .

• [موقف السلف والأئمة الأربعة من هذه المسألة] :

لا تفريق عند السلف إطلاقًا ، ولا عند أحدٍ من الأئمة الأربعة الذين اتبعوا السلف الصالح في عقائدهم ، إلا من انحرف من أتباع الأتباع من بعض الفرق الضالة ، كالمعتزلة والخوارج ونحو ذلك ، فهؤلاء خالفوا سبيل المؤمنين فحق فيهم وعيد رب العالمين :

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء : ١١٥] .

هذا مثال واضح جدًا يؤكد لكم أن التمسك بالكتاب والسنة وحده لا يفيدهم ، فقد أنكروا السنة فيما يتعلق بما سموه بحديث الآحاد ، فالعصمة العصمة : التمسك بما كان عليه السلف ، لذلك نجد أحد أئمتنا والذين لهم الفضل في إرشادهم إيانا إلى التمسك بهذا المنهج - منهج

السلف الصالح - في فهم الكتاب والسنة ، وأعني : ابن القيم - رحمه الله - الذي جمع هذا المعنى في بيت له من الشعر فقال - رحمه الله - :

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة.....

لم يقتصر على قوله : «العلم قال الله قال رسوله» ، بل أضاف إليهما : «قال الصحابة» ، وقد عرفتم السبب في ذلك : الآية والأحاديث الصحيحة التي تدل على أن الفرقة الناجية هي التي تتمسك بما كان عليه السلف أصحاب النبي ﷺ .

لذلك قال ابن القيم - رحمه الله - :

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس بالتمويه
مالعلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي فقيه
كلا ولا جحد الصفات ونفيها حذراً من التعطيل والتشبيه

وفي هذا البيت الثاني من بيتي ابن القيم - رحمه الله - إشارة إلى مثال آخر غير المثال الأول ، الذي يتعلّق بتفريقهم بين حديث الآحاد وحديث التواتر ، فلا يأخذون بحديث الآحاد في العقيدة ، مع أن هذا خلاف ما كان عليه السلف من الأخذ بكل الأحاديث في كل ما يتعلق في الإسلام سواء كان عقيدةً أو حكماً .

يشير ابن القيم - رحمه الله - في قوله :

كلا ولا جحد الصفات ونفيها حذراً من التعطيل والتشبيه

• [مخالفة الخلف لمذهب السلف في الصفات] :

فإن من المنهج الذي سلكه هؤلاء الخلف ، خلافاً لمنهج السلف هو :
تأويل الآيات وعدم اتباعها كما جاءت دون تأويل ودون تعطيل ، فالسلف
رضي الله عنهم - ومنهم الأئمة الأربعة - قد ذهبوا في موقفهم من آيات
الصفات وأحاديث الصفات إلى الإيمان بحقائق معانيها ، دون تشبيه ، ودون
تعطيل . (٢٦)

(٢٦) قد وردت عبارات الأئمة ببيان هذا المذهب السلفي .

• قال الأوزاعي - رحمه الله - :

كان الزهري ومكحول يقولان :

أمروا هذه الأحاديث كما جاءت . (١)

• وقال سفيان بن عيينة - رحمه الله - :

كل ما وصف الله تعالى به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره ، ولا كيف ، ولا

مثل . (٢)

• وعن أحمد بن نصر ، أنه سأل سفيان بن عيينة ، فقال :

حديث عبد الله : « إن الله يجعل السماء على أصبع » ، وحديث : « إن قلوب

العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن » ، و « إن الله يضحك ممن يذكره في

الأسواق » ، وأنه عز وجل : « ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة » ونحو هذه

=

الأحاديث ؟ فقال :

(١) أخرجه اللالكائي (٧٣٥) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (٩٦/٢) ، والموفق

المقدسي في « ذم التأويل » (ص : ٢٢) بسند حسن .

(٢) أخرجه الدارقطني في « الصفات » (٦١) بسند صحيح .

= هذه الأحاديث نرويها ، ونقر بها كما جاءت بلا كيف . (١)

● وقال الوليد بن مسلم - رحمه الله - :

سألت مالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، والليث بن سعد ، والأوزاعي عن الأخبار التي في الصفات ؟ فقالوا :
أمروها كما جاءت . (٢)

● وقال ابن معين - رحمه الله - :

شهدت زكريا بن عدي يسأل وكيع بن الجراح ، فقال : يا أبا سفيان ، هذه الأحاديث ، يعني مثل : « الكرسي موضع القدمين » ، فقال :
أدركنا إسماعيل بن أبي خالد ، وسفيان ، ومسعرًا يحدثون بهذه الأحاديث ، ولا يفسرون شيئًا . (٣)

● وقال أبو عبيد :

= ما أدركنا أحداً يُفسر هذه الأحاديث ، ونحن لا نفسرهما . (٤)

(١) أخرجه الدارقطني في «الصفات» (٦٣) بسند صحيح .

(٢) أخرجه أبو بكر الخلال في «السنة» (٣١٣) ، والدارقطني في «الصفات» (٦٧) ، والآجري في «الشرعة» (ص: ٣١٤) بسند صحيح .

(٣) أخرجه الدوري في «تاريخ ابن معين» (٢٥٤٣) ، ومن طريقه الدارقطني في «الصفات» (٥٨) ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٥٩) بسند صحيح .

(٤) أخرجه الدارقطني في «الصفات» (٥٧) ، والبيهقي في «الأسماء والصفات»

(٧٦٠) ، واللالكائي (٩٢٨) ، والآجري في «الشرعة» (ص: ٢٥٥) بسند صحيح .

= • وقال ربعة بن أبي عبد الرحمن :

الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ومن الله الرسالة ، ومن الرسول
البلاغ ، وعلينا التصديق. (١)

فهؤلاء جماعة السلف وأئمتهم قد اتفقت كلمتهم على هذا المذهب ، وتابعهم
عليه من بعدهم من علماء الملة المحققين ، وأئمتها المعروفين .

• قال الخلال : أخبرنا المروزي ، قال : سألت أبا عبد الله - وهو الإمام أحمد
ابن حنبل - عن أخبار الصفات ، فقال :
نُمرُّها كما جاءت. (٢)

• وقال أبو بكر الحميدي عبد الله بن الزبير وهو من شيوخ البخاري - رحمهما
الله - :

« أصول السنة عندنا فذكر أشياء ، ثم قال :

وما نطق به القرآن والحديث ، مثل : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدُّ اللَّهُ مَغْلُولَةً غَلَّتْ
أَيْدِيهِمْ ﴾ ومثل : ﴿ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ وما أشبه هذا من القرآن
والحديث ، لا نزيد فيه ولا نفسره ، ونقف على ما وقف عليه القرآن والسنة ، ونقول :
﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ومن زعم غير هذا فهو معطل جهمي . (٣) =

(١) أخرجه الذهبي في «العلو» (٣٥٢) بسند صحيح .

(٢) كذا عزاه الموفق في «ذم التأويل» (ص: ٢٦) إلى الخلال ، وسنده صحيح ، وهو في

«السنة» للخلال (٢٨٣) بأطول من هذا اللفظ .

(٣) ضمن اعتقاده المطبوع بذييل «المسند» .

● = وقال أبو عثمان الصابوني - رحمه الله - : (١)

« إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة ، حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم ، يشهدون لله تعالى بالوحدانية ، وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة ، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله ، أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به ، ونقلته العدول الثقات عنه ، ويشتون له جل جلاله منها ما أثبت لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ، ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه ، فيقولون : إنه خلق آدم بيده ، كما نص سبحانه عليه في قوله - عز من قائل - : ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ﴾ ولا يحرفون الكلام عن مواضعه ، بحمل اليدين على النعمتين أو القوتين ، تحريف المعتزلة والجهمية أهلهم الله ، ولا يكيفونهما بكيف ، أو يشبهونهما بأيدي المخلوقين ، تشبيه المشبهة خذلهم الله وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ، ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة والإرادة والمشيئة والقول والكلام والرضا والسخط والحياة واليقظة والفرح والضحك وغيرها من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين ، بل يتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى ، وقاله رسوله ﷺ من غير زيادة عليه ، ولا إضافة إليه ، ولا تكيف له ، ولا تشبيه ، ولا تحريف ، ولا تبديل ، ولا تغيير ، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويل منكر ، ويُجرونه على الظاهر ، ويكلون علمه إلى الله تعالى ، ويقولون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله ، كما أخبر الله عن الراسخين في العلم أنهم يقولونه في قوله تعالى : ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ . »

• [الكلام على التشبيه والتعطيل] :

التشبيه من مذهب المشبهة ، والتعطيل من مذهب المؤولة (٢٧) ، أما السلف فقد جمعوا إثبات معاني الصفات على حقائقها ، مع تنزيه الله تبارك وتعالى عن مشابهته للحوادث ، والنص القرآني في ذلك صريح - كما تعلمون - ، ألا وهو قوله عز وجل :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

ليس كمثله شيء : تنزيه ، فوقعوا في التعطيل : وهو إنكار صفات الله عز وجل إلى عبادته ، حينما وصف نفسه ببعض الآيات وفي بعض

(٢٧) قول الشيخ - رحمه الله - : « التشبيه من مذهب المشبهة ، والتعطيل من مذهب المؤولة » ؛ التشبيه : معناه تشبيه الرب تعالى بأحد من خلقه ، أو تشبيه إحدى صفاته بصفة من صفات المخلوقين أو المحدثين ، كأن يُقال : يد كيد ، وقدم كقدم ، وبصر كبصر ، ونحوها ، وأما اتفاق الصفات في الأسماء فلا يقتضي تشبيه الخالق بالمخلوق ، وفي ذلك يقول ابن منده - رحمه الله - : « التمثيل والتشبيه لا يكون إلا بالتحقيق ، ولا يكون باتفاق الأسماء ، وإنما وافق اسم النفس اسم نفس الإنسان الذي سماه الله نفساً منفوسة ، وكذلك سائر الأسماء التي سمى بها خلقه إنما هي مستعارة لخلقها ، منحها عبادته للمعرفة » . (١)

وأما التعطيل : فمقتضاه النفي ، وإن ترخص صاحبه رام التأويل وهو نوع أخف من النفي ، مقتضاه صرف المعنى المراد الظاهر ، إلى معنى آخر بعيد ، فالتأويل من شعب التعطيل ، كما أن الأشاعرة والمعتزلة من شعب الجهمية ، فإنهم جميعاً من النفاة على اختلاف درجاتهم في النفي ، وأما المشبهة فقد بالغوا في الإثبات حتى =

(١) بواسطة «الحجة في بيان المحجة» لأبي القاسم الأصبهاني (٩٣/١) .

الأحاديث ، فعطل الخلف معاني هذه الآيات ، لإخراجها عن معانيها الظاهرة .

زعموا أنهم فعلوا ذلك من باب التنزيه ، فخالفوا الآيات ، وخالفوا السلف الصالح الذين كانوا يُمرّونها على معانيها الظاهرة والمعروفة في اللغة العربية ، مع تنزيه الله تبارك وتعالى عن مشابهته للمخلوقات .

• [القاعدة السلفية في إثبات الصفات] :

وأنتم تعلمون أن من الأئمة الأربعة إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه ، فقد أصبح معلوماً لدى الخاصة والعامة ما ثبت عنه بالسند الصحيح : جاء رجلٌ يسأله قال : يا مالك ، «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» كيف استوى ؟ قال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، أخرجوا الرجل فإنه مبتدع . (٢٨)

= خرجوا عن الظاهر المراد إلى التشبيه المذموم الممنوع ، وأما السلف فوسط بين هؤلاء جميعاً ، فإنما أثبتوا ما ورد في الكتاب والسنة الثابتة في ذلك ، مع معرفتهم بحقائق معانيها ، وأما الكيف فإلى الله تعالى ، مع تنزيهه سبحانه عن الشبيه والمثيل ونبد التأويل والتعطيل .

(٢٨) قد وردت هذه الحكاية عن الإمام مالك - رحمه الله - من طرق عدة ، مفاريداً ضعافاً ، ولم أقف لها على سند صحيح لذاته أو على الأقل حسن ، ولعل هذا يكون من قصور جهدي ، وقلة بضاعتي ^(١) ، إلا أنه والله الحمد والمنة =

(١) وقد صححه عن مالك الإمام الذهبي ، فقال في «العلو» (ص: ١٣٩) :

«هذا ثابت عن مالك ، وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك ، وهو قول أهل السنة قاطبة» .
وانظر ما علّقه الشيخ - رحمه الله - في الرد على حسان عبد المنان في رده هذا القول جملة وتفصيلاً واحتجاجاً في كتابه : « النصيحة » (ص: ١٠٥) .

لقد أجاب هنا الإمام مالك - رحمه الله - بجواب شافٍ وافٍ ، حيث بين أن الاستواء في اللغة العربية معلوم ، وهو العلو أي أن قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ يعني : استعلى .

ولذلك يقول كل مسلم يعبد الله ساجداً : سبحان ربى الأعلى ، فأجاب مالك بأن الاستواء المذكور فى الآية معلوم لغةً ، لكن أنت تسأل

= ثابت من قول شيخ الإمام مالك ربيعة بن أبي عبد الرحمن .

فقد أخرج الذهبي في كتابه «العلو» (٣٥٢) بسند صحيح إلى سفيان الثوري ، قال : كنت عند ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، فسأله رجل ، فقال : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى ؟ فقال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ومن الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التصديق . وهو مخرَجٌ عند اللالكائي (٦٦٥) ، وابن قدامة في «العلو» (٩٠) من طريق آخر عن ابن عيينة ، عن ربيعة به ، ومن تأمل هذه العبارة تبين له أمور : « الأولى : كيفية الصفات مجهولة للعباد .

والثاني : معاني الصفات معلومة من لسان العرب ولغتها .

والثالث : الإيمان بالصفة كما أخبر الله بها ، مع الجهل بكيفيتها ، والعلم بمعناها واجب ، لأنه داخل في عموم الإيمان بالله تعالى .

والرابع : إن الزيادة والنقص بالسؤال والخوض فيها بدعة مذمومة لم تُعرف عند السلف ، لما تتضمن من القول على الله تعالى بغير علم .^(١)

(١) مابين القوسين نقلاً عن كتاب «العقيدة السلفية» للشيخ عبد الله بن يوسف الجديع

عن التكييف كيف استوى ؟

الكيف مجهول ، لأن الحق أن صفات الله عز وجل يُقال فيها ما يُقال في ذاته عز وجل^(٢٩) ، فكما أن كل مسلم يُثبت وجود الله تعالى ذاته ، كذلك يثبت صفاته عز وجل ، وكما أنه عاجزٌ عن أن يكيف ذات الله تبارك وتعالى ، فكذا هو عاجزٌ أن يكيف شيئاً من صفات الله تبارك وتعالى ، ولذلك قال : والكيف مجهول والسؤال عنه - أى عن الكيف - بدعة ، فأنت مبتدع ، لذلك أمر بطرد الرجل من ذلك المجلس الذي كان فيه مالك رحمه الله تبارك وتعالى .

(٢٩) وهذا هو المعتمد عند أئمة العلم من أهل السنة والجماعة ، قال الخطيب البغدادي في جزئه في «الكلام على الصفات» :

« أما الكلام في الصفات ، فإن ما روي منها في السنن الصحاح مذهب السلف - رضي الله عنهم - إثباتها وإجراؤها على ظاهرها ، ونفي الكيفية ، والتشبيه عنها .

والأصل في هذا : أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات ، ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله ، فإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين عز وجل إنما هو إثبات وجود ، لا إثبات تحديد وتكييف ، فكذا إثبات صفاته ، إنما هو إثبات وجود ، لا إثبات تحديد وتكييف ، فإذا قلنا : لله تعالى يد وسمع وبصر ، فإنما هو إثبات صفات أثبتها الله تعالى لنفسه ، ولا نقول : إن معنى اليد القدرة ، ولا أن معنى السمع والبصر العلم .

وهذا الاعتقاد قد أخرجه ابن قدامة بسنده في «ذم التأويل» (ص : ١٧-١٨) ، وورد بأسانيد صحيحة كما بيناه في أصل الجزء ، وهو مطبوع قديماً بتحقيقي .

فإذا ؛ **مذهب السلف** : الإيمان بآيات الصفات وأحاديث الصفات على المعنى اللغوي ، دون تأويل لأنه تعطيل ، ودون تشبيه لأنه ينافي التنزيه المصرح به في قوله تعالى :

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .

• [**التعطيل عند أهل البدع من الروافض والأشاعرة والماتريدية والمعتزلة**] :

إن بعض المذاهب الموجودة اليوم على وجه الأرض بعضها ليست من أهل السنة ، كالرافضة وأمثالهم ، فهم معطّلة فيما يتعلق بالصفات الإلهية ، أى إنهم على مذهب المعتزلة قديماً ، والمعتزلة قد أولّوا كثيراً من الآيات التي خالفهم فيها بعض الخلف من الأشاعرة والماتريدية ، أى أن الأشاعرة والماتريدية يلتقون مع المعتزلة في تأويلهم لبعض الآيات ، منها آية الاستواء مثلاً ، فإنهم يفسرونها بالمعنى المبتدع ، وهو في الواقع ضلال وقعوا فيه ، من حيث أرادوا في زعمهم الفرار من الضلال حينما فسّروا قوله تعالى :

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ، أى قالوا : « **استولى** » .

لا أريد أن أقف هاهنا ، قد أعود إليه إن ساعد الوقت ، لكن أريد أن ألفت النظر إلى أن بعض الفرق من الذين يتمسكون بمذهب الخلف في الآيات - آيات الصفات وأحاديث الصفات - يلتقون مع المعتزلة في تأويل بعض هذه الآيات ، ويخالفونهم في بعضها ، من هذه الآيات :

أن المعتزلة حينما وقفوا عند الآية السابقة : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ في الآية كما ترون تنزيه لله عز وجل ، وإثبات له صفتي

السمع والبصر ، ماذا قالت المعتزلة في هاتين الصفتين ؟ هل قالوا كما قال رب العالمين : وهو السميع البصير ؟

• [تأويل المعتزلة صفتي السمع والبصر بالعلم] :

لا بل تأولوا صفتي السمع والبصر بالعلم ، وهذا هو التعطيل ، فقالوا: ليس كمثله شيء تنزيه ، فهنا يتفوقون معنا في التنزيه ، لكنهم غلوا في التنزيه كما أشرتُ آنفاً ، فقالوا: وهو السميع البصير أي العليم ، فعتّلوا صفة السمع والبصر .

• [مخالفة الأشاعرة والماتريدية للمعتزلة في ذلك] :

أما الماتريدية والأشاعرة الذين يلتقون مع المعتزلة كما ذكرت آنفاً في تأويل بعض آيات الصفات وأحاديث الصفات ، فإنهم هاهنا وقفوا مع المذهب السلفي ، فقالوا: وهو السميع البصير ، أي لله صفة السمع والبصر .

ولكن ماذا فعلوا حينما قيل لهم من المعتزلة هذا تشبيه لأن الإنسان له سمع وله بصر بشهادة القرآن حيث قال عز وجل عن الإنسان الأول آدم عليه الصلاة والسلام : ﴿ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان : ٢] .

فقالت المعتزلة : فإذا قلنا بأن لله صفة السمع والبصر فقد شابهنه بالمخلوقات .

أجاب الأشاعرة والماتريدية هنا بجواب السلف الصالح حيث قالوا : نحن نصف الله عز وجل بما وصف به نفسه ، فنقول : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ، ولكن : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ .

فنقول لهؤلاء الماتريديّة والمعتزلة : كونوا مع السلف الصالح في آيات الصفات وكل أحاديث الصفات ، أثبتوا ما أثبت الرب لنفسه من الصفات مع التنزيه ؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .

فهل التزموا هذا المنهج !!؟

حملهم على القاعدة التي ذهبوا إليها منحرفين عن الآيات والأدلة المصرحة ، أن السلف الصالح رضي الله عنهم ورضوا عنه - حيث قالوا : علم الخلف أعلم وأحكم أما علم السلف فهو أسلم فقط - كأنهم جعلوا علم السلف عبارة عن علم دراويش لا يتعمقون في فهم النصوص ، أما الخلف فهم الأعلم وهم الأحكم ، فكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً . (٣٠)

(٣٠) قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

« إن هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف - من المتفلسفة ومن حذا حذوهم - على طريقة السلف إنما أتوا من حيث ظنوا : أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بالفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك ، بمنزلة الأमीين الذين قال الله فيهم : ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات ، فهذا الظن الكاذب أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر ، وقد كذبوا على طريقة السلف ، وضلوا في تصويب طريقة الخلف ، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم ، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف .»

• [اضطراب الأشاعرة والماتريدية في الصفات] :

فهم في الواقع مضطربون أشدَّ الاضطراب ، فهم تارة سلفيون في بعض الصفات ، والمثال بين أيديكم قالوا : ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .
له صفة السمع والبصر ، لكن سمعه ليس كسمعنا ، وبصره ليس كبصرنا .

قلنا : هذا حق ، فلماذا لم تقولوا : الرحمن استوى ؟!

• [تفويض المعنى ومجانبته لمذهب السلف] :

استوى : أي «استعلى» استعلاءً يليق بكماله ، وإنما تأولتم الاستعلاء بمعنى «استولى» ، وليتكم لم تؤولوا هذا التأويل ، ووقفتم موقف بعض الناس الآخرين الذين لم يقفوا لا مع عقيدة السلف ولا مع عقيدة الخلف من المعتزلة وغيرهم ، فقالوا: نحن نفوض. (٣١)

(٣١) التفويض هنا هو تفويض المعنى ، وينسب ابن حجر - رحمه الله - إلى هذا المذهب ، والصواب من تتبع كلامه في «الفتح» أنه يثبت بعض الصفات إثبات السلف ، ويفوض بعض الصفات ، ويوافق الأشاعرة في بعض الصفات من حيث التأويل ، ولربما ذكر مذاهب الناس في الصفة سواء السلف أو الخلف ، ثم يسكت ولا يُبدي ترجيحاً ، والحقيقة أن في كلامه في أبواب الصفات اضطراباً كبيراً ، فإنه لم يثبت فيه على مذهب ، هذا مع كونه رد على الأشاعرة في بعض المسائل العقدية .

والفرق بين هؤلاء المفوضة وبين أهل السنة والسلف أن التفويض عند أهل السنة هو تفويض الكيف ، بعد إثبات الصفة ، ومعرفة معناها من لغة العرب ، وأما مفوضة المعنى فلا طائل من وراء إثباتهم إلا إثبات اسم الصفة ، وأما معناها =

• [واقع كثير من الدعاة اليوم في مخالفة مذهب السلف] :

وهنا يجب أن نتنبهوا إلى أن كثيراً من الدعاة الإسلاميين اليوم ، ممن لم يُؤتوا حظاً من العلم بالكتاب والسنة ، يتحاشون الخوض في اتباع السلف فيما نحن في صدده في هذا المثال الثاني ، وهو اتباعهم في إيمانهم بآيات = فلا يخوضون فيه ، وهو مخالف لما تقدم ذكره وبيانه من مذهب السلف ، والذي دلت عليه عبارة الإمام مالك ، ومن قبله شيخه ربيعة بن أبي عبد الرحمن - رحمهما الله - في الاستواء ، وأن المعنى معلوم عند العرب ، وهو الذي ذكره الشيخ - رحمه الله - فقال : أي استعلى ، وأما كيف فهو مجهول ، ولا نخوض فيه ، بل نكل علمه إلى الله تعالى مع تنزيهه سبحانه عن النقص وصفات المحدثين .

هذا وقد وقع التعبير بـ « تفويض المعنى » عند بعض أهل العلم من أهل السنة والجماعة كالذهبي وابن قدامة المقدسي .

فأما الذهبي - رحمه الله - فقال في « السير » (٨ / ١٠٥) :

« فقولنا في ذلك وبابه : الإقرار ، والإمرار ، وتفويض معناه إلى قائله الصادق المعصوم » .

وقد عبر - رحمه الله - بـ « المعنى » هنا عن « كيف » ، والدليل على ذلك أنه لما أورد قاعدة الإمام مالك - رحمه الله - في « الاستواء » في كتابه « العلو » (٢ / ٩٥٤) ، قال :

« هذا ثابت عن مالك ، وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك ، وهو قول أهل السنة قاطبة : أن كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجعلها ، وأن استواءه معلوم كما أخبر به في كتابه ، وأنه كما يليق ، لا نعمق ، ولا نتحدث ، ولا نخوض في لموازم =

.....

= ذلك نفياً ولا إثباتاً ، بل نسكت ونقف كما وقف السلف ...» .

ففرّق - رحمه الله - بين الكيف والمعنى ، ففوّض الكيف ، وأثبت المعنى .

وأما ابن قدامة المقدسي - رحمه الله - فقد وقع التعبير عنده بـ « تفويض

المعنى » في كتابه « ذم التأويل » (ص: ١١) حيث قال :

« وعلموا أن المتكلم بها صادق لا شك في صدقه فصدّقوه ، ولم يعلموا حقيقة

معناها ، فسكتوا عما لم يعلموه » .

وأيد أن المقصود بـ « التفويض » هنا هو « المعنى » لا « الكيف » قوله في « لمعة

الاعتقاد » (ص: ٣١) :

« وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظاً ، وترك التعرض لمعناه ، ونرد علمه إلى

قائله ، ونجعل عهده على ناقله » .

وقد اعترض عليه بعض المحققين من الأئمة كالشيخ العلامة محمد بن إبراهيم

آل الشيخ مفتي الديار السعودية سابقاً ، فقال - رحمه الله - : (١)

« وأما كلام صاحب اللعة ، فهذه الكلمة مما لوحظ في هذه العقيدة ، وقد

لوحظ فيها عدة كلمات أخذت على المصنف ، إذ لا يخفى أن مذهب أهل السنة

والجماعة هو الإيمان بما ثبت في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته لفظاً ومعنى ،

واعتقاد أن هذه الأسماء والصفات على الحقيقة لا على المجاز ، وأن لها معاني

حقيقية تليق بجلال الله وعظمته ، وأدلة ذلك أكثر من أن تُحصّر ، ومعاني هذه

الأسماء ظاهرة معروفة من القرآن كغيرها ، لا لبس فيها ولا إشكال ، ولا غموض =

(١) « فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم » (١/ ٢٠٢-٢٠٣) .

الصفات وأحاديث الصفات على المفهوم العربي مع التنزيه .
إنهم لا يريدون أن يكونوا سلفيين ، ولا يريدون أن يكونوا من
المعتزلة ، فيقولون : نحن نفوض هذه المعاني التي جاءت في آيات الصفات

= فقد أخذ أصحاب رسول الله ﷺ عنه القرآن ، ونقلوا عنه الأحاديث ، ولم
يستشكلوا شيئاً .

وقال العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - : (١)

« مذهب السلف هو التفويض في كيفية الصفات لا في المعنى ، وقد غلط ابن
قدامة في «لمعة الاعتقاد» ، وقال بالتفويض ، ولكن الحنابلة يتعصبون للحنابلة ،
ولذلك يتعصب بعض المشايخ في الدفاع عن ابن قدامة ، ولكن الصحيح أن ابن
قدامة مفوض » .

قلت : من اعتذر عنه فقد حسن به الظن ، وهو واجب في حقه ، فإنه إمام
من أئمة السنة والجماعة .

وقد قال في حقه شيخ الإسلام ابن القيم - رحمه الله - : (٢)

« قول شيخ الإسلام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد المقدسي ، الذي
اتفقت الطوائف على قبوله وتعظيمه وإمامته ، خلا جهمي ، أو معطل » .

وإن قصد بالتفويض هنا : « تفويض المعنى » ، فهي زلة ولا شك ، ولا يتابع
عليها ، والله الموفق .

(١) « فتاوى الشيخ عبد الرزاق عفيفي » (١/١٥٣) .

(٢) « اجتماع الجيوش الإسلامية » (ص : ١٩١) .

الصفات وأحاديث الصفات على المفهوم العربي مع التنزيه .
 إنهم لا يريدون أن يكونوا سلفيين ، ولا يريدون أن يكونوا من
 المعتزلة ، فيقولون : نحن نفوض هذه المعاني التي جاءت في آيات الصفات
 وفي أحاديث الصفات ، فسموا بـ « المفوضة » . (٣٢)

ومعنى « **المفوضة** » هنا : هو الجهل بعشرات الآيات والأحاديث
 التي جاءت عن النبي ﷺ ، والتي كما قلنا آنفاً تعرف بها إلى عباده ،

(٣٢) تفويض المعنى مذهب قديم معلوم معروف عند الخلف ، وهو مذهب
 وسط بين التأويل الخلفي ، والإثبات السلفي ، إلا أنه مذهب في ذاته يخالف
 مذهب السلف الصالح .

وأما اعتناق كثير من الدعاة الإسلاميين اليوم له فهو من التميع المعروف لدى
 الكثير منهم لاعتقاد السلف الصالح ، ومنهج الأئمة ، بدعوى ما يسمى بـ :
 « مصلحة الدعوة » ، مستدلين على ذلك بتلك الكلمة التي لطالما ترددت على
 ألسنة كثير من الجهلاء : « نتعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا البعض فيما
 اختلفنا فيه » ، وهذه قاعدة مردودة جملة وتفصيلاً ، اللهم إلا إذا كان الاتفاق
 في الاعتقاد ، والخلاف واقع في مسائل الأحكام التي لم يرد فيها إجماع ،
 وكان النزاع فيها قائماً ، فالعذر واجب بين المختلفين إن كانوا أهلاً للاجتهاد
 والفتيا ، وأحيل القاريء الكريم إلى كتاب : « زجر المتهاون بضرر قاعدة
 المَعذرة والتعاون » ، للشيخ : حمد بن إبراهيم العثمان - حفظه الله - وهو
 كتاب نافع جداً في بيان خطر هذه القاعدة وسقوطها ، وضررها على الأمة ، وقد
 قدم لها كل من أصحاب الفضيلة : الشيخ : صالح الفوزان ، والشيخ : عبد
 المحسن العباد حفظهما الله تعالى .

عرّفهم ببعض صفات غيب الغيوب إن صح التعبير ، (٣٣) وهو الله تبارك وتعالى ، فجهلوا هذه المعاني كلها ، قالوا : الله أعلم بمراده ، ليت هؤلاء الذين تأولوا الاستواء بقولهم : « استولى » ليتهم صمتوا ، وليتهم سكتوا ،

(٣٣) الأولى التعبير عن الرب تعالى بما عبّر به عن نفسه ، أو بما عبّر به النبي ﷺ عنه ، أو بما ورد عن الصحابة ، وعدم تجاوز عبارات السلف في ذلك ، والشيخ - رحمه الله - من أشد الناس تمسكًا بذلك ، وانظر ما علّقه في هذه المسألة في مقدمة مختصر «العلو» (ص: ١٨-١٩) ، ولذلك فقد أردف بقوله : « إن صح التعبير » تورعًا منه - رحمه الله - ، والتعبير بخلاف الوصف ، فإن الوصف توقيفي .

وقد سئل الشيخ - رحمه الله - : (١) :

نُسب إليكم أنكم تقولون : « إن مؤسس الدعوة السلفية هو الله » ، فهل هذا صحيح ؟ وإن كان صحيحًا ، فكيف ننسب إليه صفة لم ينسبها لنفسه ؟ فأجاب - رحمه الله - بقوله :

« نعم قلت ذلك ، وهذه ليست صفة ، فالتحدث عن الله عز وجل بلغتنا للتعبير عن حقيقة واقعة هذا لا يعني أننا نصف الله بما لم يصف به نفسه ، فإذا قلت : - ردًا على من يقول : فلان مؤسس الدعوة الفلانية - المؤسس : الله ، هو الذي أسس بنيان هذا الكون ، فهذا ليس وصفًا مما اتفق عليه العلماء أنه لا يجوز إطلاقه على الله ، فالتأسيس ليس من أمر البشر ، وإنما هو أمر رب البشر » .

وفوضوا ذلك ، لأن الذي فروا منه - ما الذي فروا منه ؟ - إذا قال الإمام مالك : الاستواء معلوم ، وهو : الاستعلاء ، قالوا : الاستعلاء أن الله عز وجل في جهة ، أي جهة العلو ، فقالوا : إذا نحن لا نقول بالجهة ، فلا نقول بالعلو لله عز وجل ، إذا ما معنى ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ؟ قالوا :

• [الرد على من قال : الاستواء بمعنى الاستيلاء] :

سبحان الله ، « استولى » تقتضي باللغة العربية أن هناك كانت توجد مغالبة بين الله عز وجل وبين غيره ، ومن يكون هذا الغير سوى بعض خلقه ، فاستولى الله على ملكه !! من يقول هذا الكلام !!؟

= وهو تمامًا الذي أفتى به الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - حينما سُئل :

هل يجوز الإخبار عن الله تعالى بأنه (واجب الوجود) ؟ فأجاب جوابًا تضمن قوله : « يصح الإخبار عن الله تعالى بأنه (واجب الوجود) ، وهذا من باب الإخبار ، لا من باب الصفة » .^(١)

وهو ما نصَّ عليه شيخ الإسلام ابن القيم - رحمه الله - قال :^(٢) « إن ما يُطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي ، وما يُطلق عليه من الإخبار لا يجب أن يكون توقيفيًا ، كالقديم ، والشيء ، والموجود ، والقائم بنفسه » .

(١) « فتاوى الشيخ عبد الرزاق عفيفي » (١/١٦٤) .

(٢) « بدائع الفوائد » : (١/١٦٢) .

لقد عرفوا ، وصرح أحد كبارهم من المنحرفين عن السلف الصالح في تأويل آيات الصفات وأحاديث الصفات ، لقد صرَّح بأن قولنا في تأويل الآية : « استوى » بمعنى « استولى » بسحب معنى المغالبة ، أي لقد عطَّلَ نفس المعنى الذي فسر به الآية ، إذا سحبنا معنى المغالبة فلم يبق هناك معنىً ، وهذا في الحقيقة تعطيل لهذا النص ، كما عطَّلوا آيات الصفات وأحاديث الصفات .

من أجل ذلك يعجبني ما رُوي عن أحد أئمتنا ابن القيم - أو ابن تيمية - رحمه الله ، أنه قال :

إن المجسمة يعبدون صنماً ، والمعطلة يعبدون عدماً . (٣٤)

يعبدون شيئاً لا وجود له ، وهذا في الواقع صريح جداً حينما ينفون عن الله عز وجل صفة العلو الثابت ، ليس في آية الاستواء فقط ، بل في آيات كثيرة وأحاديث عديدة لسنا الآن في صدها .

فكُتِبَ أئمة السلف مطبوعة ومنشورة ، والحمد لله ، ولكن حسبي أن أذكر الآن ما جاء عن بعض أئمة الخلف ، أنه في سبيل الزعم الذي ادعوه من التنزيه لله عز وجل ، ونفوا عنه هذه الصفة - صفة العلو - قالوا : ربنا عز وجل لا يُقال - ولا يُوصف - بأنه فوق ، ولا تحت ، ولا يمين ولا يسار ، ولا أمام ، ولا خلف ، لا داخل العالم ، ولا

(٣٤) الشطر الثاني ورد عن جماعة من السلف والأئمة منهم ابن المبارك وعلي بن المديني ، وجماعة من أهل العلم والتحقيق والسنة ، وقد نقل عنهم عباراتهم شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - .

فانظر «مجموع الفتاوى» (٥٣-٥٢/٥) .

خارجة ، هكذا يقولون في معبودهم - الله - !!
 تقول المعطلة : الله لا فوق ، ولا تحت ، لا يمين ، ولا يسار ، لا
 أمام ، ولا خلف ، لا داخل العالم ، ولا خارجه !!
 لو قيل - لأفصح الناس بياناً - : صف لنا المعلوم ؟ لما استطاع أن
 يصفه بأكثر مما يصف هؤلاء المعطلة معبودهم - الحق سبحانه وتعالى -
 حيث قالوا: لا فوق ، لا تحت ، لا يمين ، لا يسار . . . إلى آخر هذه
 العبارة.

ولذلك لما اجتمع بعض علماء الخلف في عهد ابن تيمية - رحمه
 الله- وشكوه إلى الأمير ، الذي كان يومئذٍ في دمشق ، بأن هذا يخالف
 العلماء ، وأنه يجسم الله عز وجل ، ويشبهه بالمخلوقات ، طلبوا أن يعقد
 لهم مجلساً مع شيخ الإسلام ابن تيمية ، فكان هذا المجلس ، وتناقش
 شيخ الإسلام مع أولئك الناس الذين هم مخالفون للسلف في آيات
 الصفات وأحاديث الصفات ، والأمير يسمع ما يدعيه هؤلاء الخلف ، وما
 ادّعاء عليهم ابن تيمية من الآيات والأحاديث الصريحة في إثبات صفات
 الله عز وجل ، بصورة عامة ، وإثبات صفة العلو بصورة خاصة .

لما سمع ذلك الأمير - ويبدو أنه كان ذكياً عاقلاً - لما سمع وصف
 أولئك العلماء الخلف لله عز وجل ، بأنه لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا
 يسار إلى آخر الضلالة التي ذكرناها آنفاً ، ماذا قال ذلك الأمير العاقل ؟
هؤلاء قوم أضاعوا ربهم .

فعلاً ؛ إذا كانوا لا يدرون أين الله ، فإذا هم جماعة ضالون أضلوا
 ربهم ، حيث إن الله عز وجل وصف نفسه أنه على العرش استوى وتعرج

الملائكة والروح إليه :

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر: ١٠].

إلى آخر ما هنالك من آيات وأحاديث كثيرة.

● [الفرق بين المتخرج على مذهب السلف والمتخرج على مذهب الخلف] :

وحسبكم أخيراً - لتعلموا الفرق بين من يتخرج من المدرسة السلفية

ومن يتخرج من المدرسة الخلفية - أن تنظروا :

المدرسة السلفية هي مدرسة محمد ﷺ ، التي تخرج منها أصحابه عليه الصلاة والسلام ، فلا جرم أنه عليه الصلاة والسلام أمرنا باتباعهم ، كما سبق ذكر الأدلة على ذلك ، وإذا أردتم الدليل على من تخرج من المدرسة السلفية أنه يكون على هدى من ربه ولو كان من عامة الناس ، وأنه من تخرج من المدرسة الخلفية فهو في ضلال مبين ، ولو كان من أعلم الناس ، كأولئك الذين تجمعوا على ابن تيمية - رحمه الله - في القصة المذكورة آنفاً ، إذا أردتم أن تتبينوا هذه الحقيقة :

● [الكلام على حديث الجارية] :

فاذكروا معي حديث تلك الجارية ، التي كان سيدها قد ضربها وصفعها صفعة ، في قصة يرويها سيدها، وهو معاوية بن الحكم السلمي ، في حديث رواه الإمام مسلم في «صحيحه» فيه طول ، فأختصر الآن لموضع الشاهد منه فقط ، قال معاوية بن الحكم :

يا رسول الله إن لي جارية ترعى غنماً لي في أحد ، فسطى عليها الذئبُ يومًا - على غنمي - وأنا بشر أغضب كما يغضب البشر ،

فصككتها صكة، وعليّ عتق رقبة، فقال عليه الصلاة والسلام: «أثنتي بها» .

لما جاءت ، قال ﷺ : «أين الله؟» .

- اسمعوا هذا الحديث وعوه وافهموه واحفظوه - .

قال عليه الصلاة والسلام لها : «أين الله؟» ، قالت : في السماء ،

قال لها : «من أنا؟» ، قالت : أنت رسول الله .

فقال عليه الصلاة والسلام : «اعتقها فإنها مؤمنة» . (٣٥)

لقد شهد النبي ﷺ لهذه المرأة - وهي راعية غنم - شهد لها بأنها مؤمنة ، لماذا ؟ لأنها عرفت ربها ، وأنه على العرش استوى ، وأنه استعلى على خلقه تبارك وتعالى .

وكيف لا وهي تعيش في مجتمع ، في مدرسة - كما يُقال اليوم في لغة العصر الحاضر - هي مدرسة محمد ﷺ ، وسيدها من تلامذتها ، فهو الذي نقل إليها هذه العقيدة ، ولذلك لما سألها النبي ﷺ هذا السؤال الفاحص لعقيدتها ، أجابت بالجواب الصحيح ، قالت : الله .

كيف لا وهي إن لم تكن تحفظ سورة تبارك فعلى الأقل سمعت من

(٣٥) هذا الحديث أخرجه مسلم (٣٨٢/١) ، وأبو داود (٣٢٨٤) ،

والنسائي (١٤/٣) من حديث معاوية بن الحكم - رضي الله عنه - .

وهذا الحديث خصوصاً لم يسلم من محاولات طعن المبتدعة وأهل الأهواء فيه ، لأنه صريح في إثبات صفة العلو لله الواحد القهار ، وانظر ما علقناه في الجواب عن شبههم حول هذا الحديث في كتابنا «دفاعاً عن السلفية» (ص: ١١٠-١١٦) .

النبي ﷺ، أو على الأقل من سيدها وهو يقرأ في سورة تبارك من كل ليلة: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ﴾ [الملك : ١٧].

لقد سمعت هذه الآية كما يفهمها كل عربي ، ولذلك أجابت بالجواب الصحيح لما سألها عليه السلام: «أين الله؟»، قالت: في السماء .

• [موقف الخلفيين من هذا الحديث ونحوه]:

أتدرون ما موقف الخلف اليوم - والذين يكتبون بعض المؤلفات وبعض الرسائل ، يزعمون أن الخلف علمهم أحكم وأعلم - ؟ يقولون : إن هذا السؤال الذي جاء ذكره في هذا الحديث لا يجوز توجيهه اليوم ، هذا ليس فقط يخالفون منهج السلف ، بل يخالفون الأحاديث الصحيحة لمجرد أنها تتعلق بالعقيدة ، ولو كانت أحاديث صحيحة وأجمع علماء المسلمين على صحتها ومنها هذا الحديث. (٣٦)

(٣٦) من ذلك طعنهم في هذا الحديث باضطراب متنه ، ويستدلون على هذا الاضطراب بروايات ضعيفة ، أو بأحاديث أخرى لا تعلق لها بهذا الحديث . « فمن زعم الاختلاف في متنه فلم يصب ، لأنه احتج لما ذهب إليه بروايات أحسن مراتبها الضعيف ، على أنها عند التحقيق لا تُعد اختلافاً ، وإنما أراد بعض أهل البدع التعلق بهذا لإبطال دلالة هذا الحديث على اعتقاد أهل السنة من أن الله فوق خلقه ، وأنه في مكان ، كذلك تشكيك بعض أهل الزيغ في ثبوت هذا الحديث في «صحيح مسلم» هو أوهى من بيت العنكبوت لمن علم وفهم وأنصف ، وشبهات أهل البدع لم تسلم منها آيات الكتاب ، فكيف تسلم منها السنن !!؟ » .

فقد رواه الإمام مسلم في «صحيحه» ، ورواه مالك في «موطئه» ، ورواه الإمام أحمد في «مسنده» ، ورواه كل من له رواية في السنة إلا ما ندر ، وساقوه مساق الأحاديث الصحيحة المسلّمة ، فجاء هؤلاء الخلف وردوا هذا الحديث ، وقالوا: لا يجوز لك أن تسأل هذا السؤال أين الله؟ فإذا قيل لهم : قد سأل رسول الله ﷺ هذا السؤال ، أجابوك بأن هذا حديث آحاد أولاً ، ثم يزدادون جدلاً ، فيقولون : وعلى فرض أن النبي ﷺ صحَّ عنه هذا السؤال ، فهو إنما أقرَّ الجارية على قولها : إن الله عز وجل في السماء ، لأنها كانت أعجمية ، ولأنها لا تعلم العقيدة الصحيحة ، فهنا يقعون في مشكلة أخرى ، كما قلنا في تأويلهم :

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ .

حيث فسروا بـ «استولى» ، فورد عليهم أن هناك من كان يغالب الله على عرشه ، فغلبهم واستولى على عرشه ، ذلك هو الضلال البعيد . كذلك هنا نسبوا الرسول عليه الصلاة والسلام إلى أنه سكت عن الجارية ، لأن جوابها غير صحيح عندهم ، مع أن الله عز وجل قد سمعتم آناً قوله : ﴿ أأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ .. إلى آخر الآية .

والخلاصة:

فمذهب السلف يجب التمسك به، وهو الضمان في أن يكون المسلم من الفرقة الناجية، وألا يكون من الفرق الضالة، ذلك هو العصمة .

• [القاعدة الأساسية في الدعوة إلى الكتاب والسنة] :

ولابد من لفت النظر أخيراً إلى أننا حينما ندعو المسلمين جميعاً إلى التمسك بالكتاب والسنة ، وعلى منهج السلف الصالح ، لما ذكرناه آنفاً من البيانات والأدلة الصحيحة ، فنحن لا نكون متباعدين عنهم من أصل الإيمان بالكتاب والسنة ، ولكننا نحسن دعوتهم إلى الكتاب والسنة ، لأننا نعتقد أنهم مرضى في عقائدهم التي انحرفوا فيها عن الكتاب والسنة ، فندعوهم كما هو واجب الدعوة ، وهي قاعدة أساسية في كل من يريد أن يدعو إلى الإسلام ، ألا وهو قوله تبارك وتعالى :

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ ﴾

[النحل : ١٢٥] . (٣٧)

(٣٧) هذه القاعدة التي ذكرها الشيخ - رحمه الله - من أهم ما يجب على الداعية السلفي أن يلتزم به اليوم في دعوته إلى الله ، فإن اللين في الدعوة والموعظة الحسنة بعيداً عن الفجاجة ، وبعيداً عن إطلاق القول بالتفسيق أو التكفير للمخالف مجازفة - كما هو حال بعض الجهال - مما يؤتي نفعه ، وهو مذهب السلف الصالح - رضي الله عنهم أجمعين - .

وقد روى الخلال (٣٥) بسند صحيح عن الإمام أحمد :

أنه سئل عن الأمر ؟ قال :

كان أصحاب عبد الله يقولون مهلاً رحمكم الله ، مهلاً .

قلت : ولكن هذا في مجال التعليم والإعلام والنصح والدعوة ، وأما من استقرت بدعته ، ودعا إليها ، ونافح عنها ، فزجره بهجره واجب ، والتحذير منه لازم كما هو معروف معلوم في مذهب السلف .

فيجب ألا تنهائون مع هؤلاء الناس الذين انحرفوا عن منهج السلف الصالح ، ليس فقط في كثير من الأحكام ، بل وفي كثير من العقائد ، كما ذكرنا مثلاً آنفاً فيما يتعلق بالصفات ، وفي عذاب القبر ، ونحو ذلك .

فنحن ندعوهم بالتي هي أحسن ، ولا نبأينهم ، ولا نفارقهم ، لقوله عليه الصلاة والسلام :

« لأن يهدي الله على يديك رجلاً أحبُّ إلي من حُمُر النعم » . (٣٨)

ولعل في هذا القدر كفاية .



(٣٨) أخرجه البخاري (٢٢/٣) ، ومسلم (١٨٧٢/٤) من طريق : عبد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، عن سهل بن سعد ، ضمن حديث طويل في فضل علي - رضي الله عنه - ولفظ الشاهد منه :

« لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم » .

وله طريق آخر عندهما من رواية : يعقوب القاري ، عن أبي حازم به .

فهرس الموضوعات

٣	المقدمة
٤	أهمية الرسالة
٤	أصل هذه الرسالة
٤	تعليقات المؤلف وشرحه عليها
٩	بداية الرسالة
١٣	اصطلاح الدعوة السلفية
١٤	موقف السلفية من التمدب
١٤	نفشي التقليد المذهبي بعد القرون الثلاثة الفاضلة
١٨	الفرق بين الانتماء إلى الكتاب والسنة وبين العمل بهما
٢١	حقيقة السلفية
٢١	الالتزام بالتمسك بالكتاب والسنة
٢٣	وجوب الاقتداء بالسلف
٢٩	معيار التفرقة بين الادعاء والعمل
٣٢	أقسام السنة وطريق الوصول إليها
٣٥	نظرة في واقع الحال
٣٥	سبب الافتراق في الدين
٣٦	الاتباع ، ومعناه
٣٧	فهم خاطيء لما تقدم
	نقض العبارة الساقطة : « مذهب السلف أسلم ، ومذهب الخلف
٣٩	أعلم وأحكم »
٤١	أمثلة على مخالفة منهج السلف إلى منهج الخلف
٤١	التفريق بين أحاديث الآحاد وأحاديث التواتر وحكم ذلك
	التفريق في الاحتجاج بين هذين النوعين من أبرز الأدلة على مخالفة

- السلف ٤٣
- الدليل على حجية حديث الواحد ٤٤
- الحاجة إلى معرفة عمل السلف إلى جنب دراسة الكتاب والسنة ٤٦
- الاحتجاج على الخلفين بأحاديث الآحاد التي تحتوي على الأحكام والعقائد ٤٦
- مثال على ذلك ٤٧
- موقف السلف والأئمة الأربعة من هذه المسألة ٥١
- مخالفة الخلف لمذهب السلف في الصفات ٥٣
- الكلام على التشيع والتعطيل ٥٧
- القاعدة السلفية في إثبات الصفات ٥٨
- الكلام على الاستواء ٥٨
- مذهب السلف في الصفات ٦١
- تأويل المعتزلة صفتي السمع والبصر بالعلم ٦٢
- اضطراب الأشاعرة والماتريدية في الصفات ٦٤
- تفويض المعني ومجانبته لمذهب السلف ٦٤
- واقع كثير من الدعاة اليوم في مخالفة مذهب السلف ٦٥
- التفويض ٦٦
- الرد على من قال : الاستواء بمعنى : الاستيلاء ٧٠
- الفرق بين المتخرج على مذهب السلف ، والمتخرج على مذهب الخلف ٧٣
- الكلام على حديث الجارية ٧٣
- موقف الخلفين من هذا الحديث ونحوه ٧٥
- القاعدة الأساسية في الدعوة إلى الكتاب والسنة ٧٧
- الفهرس ٧٩